عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الرابع - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٤

القرن الخامس عشر الهجري

الأبحاث والدراسات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أثر المدائح النبوية في البلاغة العربية

الدكتور
أحمد مطلوب
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ـ ١ ـ

نزل القرآن الكريم فكان حجة بلاغية كبرى ومعجزة أدبية عظمى وقف العرب أمامها مبهورين لايعرفون لذلك سببا ولايملكون لتأثيره ردا . ولم يكن ازاء هذه المعجزة الا ان يرجعوا الى انفسهم لعلهم يجدون مخرجا ، ولكن الحجة أعيتهم ووقفت السنتهم واحتبست اصواتهم وهم يستمعون الى النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبلغ الناس قوله تعالى : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »(١) . وقوله تعالى : « أم يقولون افتراه ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين. فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله ، وأن لا اله الا هو ، فهل أنتم مسلمون ؟ »(٢) . وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٣) . وعجزوا عن ان يأتوا بمثل هذا القرآن وهم اصحاب لسن وبلاغة فقالوا : « ماهذا الا سحر مفترى ، وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين »(٤) . واخذوا يفرون من سماع كتاب الله خوفا من ان يؤثر في نفوسهم ويهديهم الى سواء السبيل كما هدى من قبل طليعة المسلمين ، وكانوا يقولون اذا سمعوه كما قال الوليد بن المغيرة وقد سمع النبي (ص) يتلو الآيات : « والله ، ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة »(٥) .

وشغل الناس بالقرآن بعد ان انتشر الاسلام واخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن الفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون وقف العرب أمامها مبهورين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها « أحق العلوم بالتعلم واولاها بالتحفظ ـ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه » ، لان « الانسان اذا اغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وماشحنه به من الايجاز البديع »(٦) . وذهبوا ابعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة انها « مابلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصّرك بمواقع رشدك وعواقب غيك »(٧) .

وكان تأثير القرآن واضحا في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرفيع . وكان لمسألة الاعجاز أثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان المتكلمون أول من بحثوا في اعجاز القرآن وبلاغته ، واختلفت وجهات النظر في ذلك وتشعبت سبل القول واصبحت تلك الدراسات أحسن مصدر للبلاغة وأجل مورد لمن أراد ان يتذوق القرآن ويفهم البيان .

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة هود ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٣) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .
(٤) سورة القصص ، الآية ٣٦ .
(٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٠ .
(٦) كتاب الصناعتين ص ١ .
(٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤ .

وسارت مواكب التاليف في البلاغة خدمة لكتاب الله ولغة الضاد، وظهرت مئات الكتب تتحدث عن اعجاز القرآن وبلاغة العرب وترصد الفنون البيانية التي لها تأثير في الادب . وشهد القرن السابع للهجرة لونا جديدا من التأليف في البلاغة هو « البديعيات » التي كانت تتضمن فنونا بلاغية معظمها في مدح النبي محمد (ص) ومن البحر البسيط وعلى رويّ الميم . وكانت المدائح النبوية قد ظهرت منذ عهد مبكر غير انها أخذت طابعها المعروف حينما ذاع التصوف وانتشر ، ولعل بردة البوصيري (ـ ٦٩٧ هـ) أهم القصائد بين المدائح النبوية « فهي اولا قصيدة جيدة ، وهي ثانيا أسير قصيدة في هذا الباب ، وهي ثالثا مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشئت بعد البوصيري في مدح الرسول »(٨) . ومطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من اضم

والبردة في اثنين وثمانين ومائة بيت، وتشتمل على عناصر . ففي صدرها النسيب ويليه التحذير من هوى النفس ، ثم مدح النبي (ص) والكلام على مولده ، والحديث عن القرآن الكريم والاسراء والمعراج والجهاد ، وتنتهي بالتوسل والمناجاة(٩) .

وكان للبردة أثر في اللغة العربية يتمثل في التأليف والدرس والشعر ، ولكن أثرها في البلاغة يتجلى في « البديعيات » التي كانت لونا من ألوان البحث في فن القول وشرح الفنون البلاغية على مدى الاجيال .

والبديعيات كثيرة جدا ، وقد أحصى منها الدكتور احمد ابراهيم موسى في كتابه « الصبغ البديعي في اللغة العربية » اربعا واربعين ، منها ماهو مشروح وما هو مجرد ، ومنها ماهو مطبوع وماهو مخطوط . وقد اختلف الباحثون في نشأتها فذهب الدكتور زكي مبارك الى ان ابا عبدالله محمد ابن أحمد المعروف بابن جابر الاندلسي (ـ ٧٨٠هـ) ابتكرها ورسم أصولها(١٠) . وذهب ابن معصوم المدني الى ان صفي الدين الحلي (ـ ٧٥٠ هـ) أول من نظمها ، ولكنه استدرك وقال : « كنت أظن أن أول من نظم انواع البديع على هذا الاسلوب البديع فضمن كل بيت نوعا وانقاد له شموس هذا المرام طوعا ، هو الشيخ صفي الدين الحلي ـ رحمه الله تعالى ـ حتى وقفت في ترجمة الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الاربلي الصوفي الشاعر على قصيدة لامية له ، نظم فيها جملة من انواع البديع وضمن كل بيت منها نوعا منه أولها الجناس التام والمطرف ، وهو :

بعض هذا الدلال والادلال
حال بالهجر والتجنب حالي

ثم قال في الجناس المصحف والمركب :

جرت إذ حزت ربع قلبي ، واذ
لالي صبر ، اكثرت من اذلالي

فعلمت ان الشيخ صفي الدين لم يكن أبا عذر هذا المرام ولا أول من نظم جواهر هذا العقد في نظام فان الشيخ امين الدين المذكور توفي قبل ان يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين ، وذلك ان وفاة الشيخ امين الدين في سنة سبعين وستمائة ، وولادة الشيخ صفي الدين في سنة سبع وسبعين وستمائة . وأما نظم انواع البديع على هذا الوزن والرويّ الذي نظم عليه الشيخ صفي الدين ، فلا أتحقق أيضا أن الشيخ صفي الدين هو أول من نظم عليه ، فانه كان معاصرا للشيخ أبي عبد الله محمد ابن أحمد علي الهواري المعروف بشمس الدين بن جابر الاندلسي الاعمى صاحب البديعية المعروفة ببديعية العميان . ولا اعلم من السابق منهما الى نظم بديعيته على هذا الاسلوب وان كان الشيخ صفي الدين قد حاز قصبات السبق في مضمار براعة هذا المطلوب . فابن جابر لم يستوف الانواع التي نظمها الشيخ صفي الدين بل أخل بنحو سبعين نوعا من الانواع ، وكلاهما لم يلتزما التورية باسم النوع البديعي . واول من التزم ذلك عز الدين الموصلي ثم تلاه الشيخ تقي الدين ابو بكر بن علي بن عبد الله الحموي المعروف بابن حجة ، والتزم ماالتزمه الشيخ عز الدين وزاد عليه في أكثر الابيات بحسن النظم والانسجام ، الا ان لذلك فضل المتقدم على المتأخر، والمبتدع على المتبع . وقل من التزم بعدهما هذا الالتزام ، وماذلك الا لصعوبة هذا المرام »(١١).

ورجّح الدكتور جواد علوش أن يكون صفي الدين الحلي أسبق من ابن جابر الاندلسي ، لانه

(٨) المدائح النبوية في الادب العربي ص ١٧١ .
(٩) حللها الدكتور زكي مبارك في كتابه « المدائح النبوية » ص ١٨٣ .
(١٠) المدائح النبوية ص ٢٠٤ .
(١١) انوار الربيع في أنواع البديع ج ١ ص ٣١ .

توفي سنة ٧٥٠هـ ، وتوفي الثاني سنة ٧٨٠هـ ، وان ابن حجة الحموي اعترف باسبقيته في عدة مواضع من خزانته(١٢) . ولكن ذلك ليس دليلا اكيدا فقد يكون ابن جابر اسبق لانه كان قد تخطّى الخمسين حينما مات الحلي ، ولعله نظمها في هذه السن او قبل ذلك بكثير ، فيكون له السبق في هذا المضمار .

ومهما يكن الامر من اختلاف الباحثين في نشأة البديعيات ، فان من اوائلها بديعية علي بن عثمان الاربلي (ـ ٧٦٠ هـ) الذي اشار اليه ابن معصوم المدني وعدّه اول من نظم هذا اللون . وبديعيته ليست في مدح النبي العظيم ولكنها في مديح بعض معاصريه ولذلك لاتدخل في المدائح النبوية وان كانت من اوائل البديعيات .وبديعية الاربلي تتضمن الفنون البلاغية ، وقد ذكر ابن شاكر الكتبي(١٣) . ستة وثلاثين بيتا منها ، وفي كل بيت فن بديعي ، ففي قوله :

بعض هذا الدلال والادلال
حال بالهجر والتجنب حالي

جناس لفظي . وفي قوله :

جرت اذ حزت ربع قلبي ، واذ
لالي صبر ، اكثرت من اذلالي

جناس خطي . وفي قوله :

رق ياقاسي الفؤاد لاجفا
ن قصار أسرى ليال طوال

طباق . وفي قوله :

شارحات بدمعها مجمع البحـ
ـرين في حب مجمع الامثال

استعارة . وفي قوله :

نفت النوم في هواك قِصاصاً
حيث أدنى منها خداعُ الخيالِ

مقابلة .

ولكن الشعراء بعد الاربلي اتجهوا الى مدح النبي (ص) ببديعياتهم معارضين بردة البوصيري ، ومن ذلك بديعية صفي‌الدين الحلي (٧٥٠هـ) وهي في مائة وخمسة وأربعين بيتا ومطلعها :

إنْ جئت سلْعاً فسلْ عن جيرة العلم
واقرأ السلام على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

وضمن كل بيت فيها محسنا ، وضمت قصيدته مائة وخمسين اذ جعل فيها للجناس اثني عشر ضربا ، ففي المطلع براعة الاستهلال والتجنيس المركب والمشتبه . وفي البيت :

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم
لهم ولم استطعْ مَعْ ذاك منع دمي

تجنيس ملفق . وفي البيت :

أبيت والدمع هامٍ هامل سَرب
والجسم في أضَم واللحم في وَضَمِ

تجنيس مذيل ولاحق . وفي البيت :

من شأنه حمل أعباء الهوى كمداً
إذا هَمَى شأنه بالدمع لم يلُمِ

تجنيس تام ومطرف . وفي البيت :

مَنْ لي بكل غرير في ظبائهم
غرير حسن يداوي الكلْم بالكَلِمِ

تجنيس مصحف ومحرف . وفي قوله :

بكل قدٍّ نضير لا نظير له
ما ينقضي أملي منه ولا المي

تجنيس لفظي ومقلوب . وفي البيت :

وكل لحظ أتى باسم ابن ذي يزنٍ
في فتكه بالمعنّى أو أبي هَرَم

تجنيس معنوي . وضم كل بيت من الابيات الاخرى فنا بديعيا واحداً .

وسمي الحلي بديعيته « الكافية البديعية في المدائح النبوية » وشرحها بكتاب سماه « النتائج الآلهية في شرح الكافية » وذكر انها كانت خلاصة سبعين كتابا(١٤) . وشرحها عبدالغني النابلسي (ـ ١١٤٣هـ) بكتاب سماه «الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » ، واثنى عليها الحموي (ـ ٨٣٧هـ) في خزانته وفضلها على البديعيات الاخرى ، ومن

(١٢) شعر صفي الدين الحلي ص ١٢٦ .
(١٣) فوات الوفيات ج ٢ ص ١١٨ .
(١٤) البديعية في ديوان صفي الدين الحلي ص ٦٨٥ ، والتفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٢٨ ، والقزويني وشروح التلخيص ٤٤٥ ، ومصطلحات بلاغية ص ٩٣ ، وفنون بلاغية ص ٢١٤ ، والصبغ البديعي ص ٣٨١ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٠ .

اعجابه بالحلي قلدهوجاراه وحذا حذوه . قال مفتخرا بيديعيته : « فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع ، وهو في ذلك محلول العقال »(١٥) .

ونظم ابن جابر الاندلسي (ــ ٧٨٠هـ) بديعية في مائة وسبعة وعشرين بيتا استهلها بقوله :

بطيبةَ انزلْ ويمّمْ سيد الأمم
وانثرْ له المدح وانْشُرْ اطيب الكلمِ

وسماها « الحلة السيرا(١٦) في مدح خير الورى »، وهي المعروفة ببديعية العميان .

وعدّه الدكتور زكي مبارك مبتكر هذا الفن ، وقال : « وقد شغل نفسه بمعارضة البردة ، ولكن اي معارضة ؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو البديعيات ، وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من ابياتها يشير الى فن من فنون البديع »(١٧). وشرحها صديقه أبو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي (ــ ٧٧٩هـ) بكتاب سماه « طراز الحلة وشفاء الغلة » ، واشار الى ان ابن جابر اتبع في سرد المحسنات الخطيب القزويني ، ولكنه بدأ باللفظ متابعا بدر الدين بن مالك في كتابه « المصباح » . قال : « وقد آن أنْ آخذ في الكلام على ابيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ، ويعود على الناظر فيه بأحسن عائدة فنقول : إن المصنف تبع في هذه القصيدة القاضي جلال‌الدين القزويني صاحب « الايضاح » و « التلخيص » فذكر من القاب البديع ما ذكره ، الا انّ المصنف بدأ بالقسم الذي يتعلق باللفظ وأخّرَ القسم الذي يتعلق بالمعنى على ما سنقف عليه . وهو في هذا الترتيب موافق لصاحب « المصباح » وهو ترتيب حسن ؛ لان اللفظ وسيلة الى المعنى وحق الوسيلة ان تكون متقدمة ، وايضا فان ما يتعلق بالمعنى لا يكون الا بعد التركيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الافراد مقدم على حال التركيب »(١٨)

واثنى السيوطي على بديعية ابن جابر وقال : « ان نظمها عالٍ »(١٩) ، ولكن الحموي قال : « ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة ، غير ان الشيخ الامام العلامة شهاب‌الدين أبا جعفر الاندلسي شرحها شرحا مفيدا »(٢٠) .

ونظم عزالدين الموصلي (ــ ٧٨٩هـ) بديعية في مائة وخمسة واربعين بيتاً التزم فيهاتسمية الفن البديعي موريا بكلمة عنه في البيت الذي يتضمنها ، ومطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم
عبارة عن نداء المفرد العلمِ

ففي قوله « براعة تستهل » اشارة الى براعة الاستهلال ، وفي قوله :

فحيّ سلمى وسلْ ما ركّبت بشذا
قد اطلقته امام الحي عن امَمِ

تورية عن الجناس المركب والمطلق . وفي قوله:

ملفق ظاهر سرّي وشان دمي
لما جرى من عيوني إذْ وشَى نَدَمي

تورية عن الجناس الملفق واشارة اليه .

وكان الموصلي أول من فعل ذلك ليتميز على الحلي الذي لم يلتزم بتسمية النوع ، قال عبدالغني النابلسي : « ثم جاء بعد صفي‌الدين الشيخ عزالدين الموصلي ــ رحمه الله تعالى ــ فعارضه بقصيدة على منوال قصيدته وذكر من الانواع ما ذكره وزاد عليه بعض شيء يسير من اختراعاته معجبا بذكر النوع البديعي في الفاظ البيت موريا به لئلا يحتاج الى تعريف النوع من خارج النظم ، ولكنه تعسف وتكلف في غالب أبياته وهجر مضجع الرقة والانسجام ، ثم شرحها شرحا بين فيه مقصده ومراده مع الاختصار ، ولم يشف غلة الافكار »(٢١) .

ونظم ابو سعيد زين‌الدين شعبان بن محمد ابن داود بن علي الآثاري القرشي (ــ ٨٢٨هـ) ثلاث بديعيات ، سمى الاولى « بديع البديع في مديح الشفيع » وهي البديعية الصغرى ، وهي في مائة وتسعة وستين بيتا وقد التزم فيها تجريد القاب الانواع التي ضمنها في البديعية الكبرى(٢٢) ، ومطلعها :

إن جئت بدراً فطب وانزلْ بذي سلمِ
سلّمْ على من سَبا بدراً على عَلَمِ

(١٥) خزانة الادب ص ٤٦٧ .
(١٦) السيراء : المخططة ، أو يخالطها حرير .
(١٧) المدائح النبوية ص ٢٠٥ .
(١٨) طراز الحلة وشفاء الغلة ص ١٧ .
(١٩) بغية الوعاة ج ١ ص ٣٥ .
(٢٠) خزانة الادب ص ١١ .
(٢١) نفحات الازهار ص ٣ .
(٢٢) بديعيات الآثاري ص ١١ ، ٢٠ .

وفيه براعة المطلع .

وسمى الثانية «بديع البديع في مديح الشفيع» أيضا ، وهي البديعية الوسطى ، وهي في ثلثمائة وثمانية ابيات ، ومطلعها :

دعْ عنك سلعاً وسلْ عن ساكن الحرمِ
وخلِّ سلمى وسلْ ما فيه من كرمِ

وسمى الثالثة « العقد البديع في مديح الشفيع » ،وهي البديعية الكبرى ، وهي في اربعمائة وسبعة ابيات ومطلعها :

حسن البراعة حمد الله في الكلمِ
ومدح أحمد خير العرب والعجمِ

وفيه اشارة الى « حسن البراعة » ، وقد فعل مثل ذلك في الابيات الاخرى واشار الى الفنون البلاغية موريا .

وظهر في القرن الثامن أديب ناقد كان له اكبر الاثر في البديعيات ، وهو أبو بكر علي بن حجة الحموي (ـ ٨٣٧هـ) الذي وجد عصره يزخر بالبديعيات ، وكان قد أعجب ببديعتي الحلي والموصلي فأراد ان يضع بديعية تفوقهما وتعفوهما، فنظم بديعية ضمن كل بيت فيها لونا بديعيا واشار الى اسمه في البيت نفسه وسماها «تقديم ابي بكر» وهي في مائة واثنين واربعين بيتا ، ومطلعها :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلمِ
براعة تستهل الدمع في العلمِ

ورأى ان هذه البديعية لن تكون ذات فائدة عظيمة ان بقيت ابيات شعر تحفظ وتروى من غير تبصر بفنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه « خزانة الادب وغاية الارب » ووازن بينها وبين بديعتي الحلي والموصلي(٢٣) . وكان لهذا الشرح اثر في البلاغة والبديعيات التي جاءت بعد ذلك ، فقد أخذ بعضهم على نفسه شرح بديعيته كالسيوطي والباعونية والمدني والنابلسي .

ولجلال الدين السيوطي (ـ ٩١١هـ) بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيع » في مائة واربعين بيتا مشتملة على مثلها من الانواع ، ومطلعها :

من العقيق ومن تذكار ذي سلَمِ
براعة تستهل الدمع في العلمِ

وشرحها شرحا موجزا .

ونظم صدرالدين بن معصوم الحسيني المدني (ـ ١١١٧هـ) بديعية في مائة وسبعة واربعين بيتا ، ومطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة الحرم
له براعة شوق يستهلُّ دمي

وتتضمن الفاظ ابياتها اسماء المحسنات البديعية ، ففي المطلع حسن الابتداء وبراعة الاستهلال . وفي قوله :

دعني وعجبي وعج بي بالمرسول ودعْ
مركب الجهل واعقل مطلق الرسُمِ

الجناس المركب والمطلق .

وشرحها بكتابه «انوار الربيع في انواع البديع» الذي جاء من اوسع المؤلفات البلاغية في الفترة المتأخرة(٢٤) .

ونظم عبدالغني النابلسي (ـ ١١٤٣هـ) بديعيتين لم يلتزم في احداهما تسمية النوع ، والتزمه في الثانية . ومطلع الاولى :

يا منزل الركب بين البان فالعلم
من سفح كاظمة حيّيت بالديمِ

وشرحها بكتابه « نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار » .

ومطلع الثانية :

يا حسن مطلع من اهوى بذي سلَمِ
براعة الشوق في استهلالها المي

وقد التزم فيها التورية باسم النوع بعد ان انتقد ذلك في مقدمة شرح بديعيته الاولى ، لان ذلك يكسب « تنافرالكلمات وغرابة المباني وقلاقة المعاني »(٢٥) . وقال : « ثم اني نظمت قصيدة اخرى على منوال هذه صرحت فيها باسم النوع تمثيلا لما ذكرته من الاستهلال ووفاء بما اشرت اليه في المقال . ثم اني كتبت كل بيت منها عند ما يماثله

(٢٣) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٣٥ ، والقزويني وشروح التلخيص ص ٤٤٧ .

(٢٤) التفصيل في مناهج بلاغية ٣٤٣ .
(٢٥) نفحات الازهار ص ٤ .

في الهامش على حسب مقتضى الحال »[٢٦] . وقال إن ابيات بديعيته مائة وخمسون بيتا مشتملة على مائة وخمسين فنا بعد زيادة انواع لطيفة لا توجد في البديعيات ، وربما اتفق في البيت الواحد النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم[٢٧] .

وهناك بديعيات اخرى لوجيه الدين عبدالرحمن بن محمد اليمني (ـ ٨٠٠هـ) وشرف الدين بن حجاج بن عيسى بن شداد السعدي القاهري (ـ ٨٠٧هـ) وابي الوفاء بن عمر العرضي الشافعي وقاسم بن محمد البكرجي (ـ ١١٦٩هـ) وغلام علي آزاد (ـ ١٢٠٠هـ) ومحمود صفوة الساعاتي (ـ ١٢٩٨هـ) وعبدالهادي بن رضوان نجا الابياري (ـ ١٣٠٥هـ) وعبدالقادر الحسيني الادهمي الطرابلسي وعبدالحميد قدس بن محمدعلي الخطيب (ـ ١٣٣٥هـ) . ونظم المسيحيون بديعيات في مدح المسيح عليه السلام معارضة لبردة البوصيري والمدائح المحمدية[٢٨] .

ـ ٢ ـ

وساهمت المرأة في نظم البديعيات ، فقد نظمت عائشة الباعونية[٢٩] (ـ ٩٢٢هـ) بديعية في مائة وثلاثين بيتا سمتها « الفتح المبين في مدح الأمين » ومطلعها :

في حسن مطلع اقماري بذي سلم
اصبحت في زمرة العشاق كالعلم

ونظمتها على منوال بديعية ابن حجة من غير تسمية النوع البديعي تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها واعتمدت على ابن حجة كثيرا . قالت في بديعيتها ومنهجها في الشرح: « وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع ، شاهدة بسلامة الطباع منقحة بحسن البيان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن وجوه البديع ، سامية بمدح الحبيب الشفيع ، مطلقة من قيود تسمية الأنواع ، مشرقة الطوالع في أفق الابداع ، مرسومة بين القصائد النبويات بمقتضى الالهام الذي هو عمدة أهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الأمين . استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها وثبوت اسمها في شيء يروق الطالب موارده وتعظم عند المستفيد فوائده . وهو أن اذكر بعد كل بيت حدّ النوع الذي بنيت عليه وأقر شاهده فان ذلك مما يفتقر اليه ، وأنحو في ذلك سبيل الاختصار ولا اخل بواجب ، وأنبه على ما لابد منه قصدا لنفع الطالب . والمسؤول من الفتاح بتأسيسها على قواعد أذن الله ان ترفع ، ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع أن يصلي ويسلم عليه ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم . وسيلة لي ولوالدي ولذريتي ولأحباي ولمن والاني خيرا الى وفور الحظ من فضله العظيم ، وأن ينيلنا بوجاهة الممدوح لديه وبحقه عليه نهاية الآمال ومالم يخطر لنا على بال من منايح الوصال ومبار الاتصال ودوام العوافي والأمان وشمول العفو والرضوان ، انه جواد كريم رؤوف رحيم . ومن الله استمد ، وعليه اعتمد ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب »[٣٠] .

وفي دار الكتب بالقاهرة شرح آخر لبديعيتها اكثر تفصيلا ، فقد توسعت فيه والتزمت ان تذكر عند كل محسن ما قاله ابن جابر الاندلسي والحلي والموصلي ، وهذا الشرح غير مطبوع . اما الاول فقد طبع على حاشية « خزانة الادب » للحموي ، ويبدو ان الدكتور احمد ابراهيم موسى لم يطلع عليه فقال عن الشرحين : « وكلاهما مخطوطان »[٣١] ، كما لم يطلع النابلسي على الشرح الكبير فقال في مقدمة « نفحات الازهار » : « ثم جاءت بعد ابن حجة فاضلة الزمان عائشة الباعونية ـ رحمها الله تعالى ـ ونظمت قصيدة على مثال قصيدته مع عدم تسمية النوع تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات وشرحتها شرحا مختصرا ، وقفت عليه بخطها ـ رحمها الله تعالى ـ أسفرت فيه عن لثام البيان بقدر الطاقة وحسب التيسير » .

وقصيدة « الفتح المبين في مدح الامين » معارضه لبردة البوصيري والبديعيات الاخرى ، وقد جرت على غرارها في الوزن والروي ، فهي من البحر البسيط الذي يمتد فيه النفس ليعبر عن الخوالج ويستوعب الفكرة ، وعلى روي الميم المكسورة التي لها ايقاع عذب يحرك المشاعر ويهز القلوب . واذا

---

(٢٦) نفحات الازهار ص ٥ .
(٢٧) التفصيل في مناهج بلاغية ص ٣٤٥ .
(٢٨) التفصيل في الصبغ البديعي ص ٤٥٨ ومناهج بلاغية ص ٢٤٦ ، والقزويني وشروح التلخيص ص ٤٥٦ ، والبلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٨ ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٣ ص ٤٧٠ .
(٢٩) هي عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الباعوني ام عبدالوهاب الدمشقية . (شذرات الذهب ج ٨ ص ١١١ ، والاعلام ج٤ ص٦ ، ومعجم المؤلفين ج٥ ص٥٧ ، وأعلام النساء ج ٣ ص ١٩٦) .
(٣٠) شرح بديعية الباعونية (خزانة الادب) ص ٣١٠ .
(٣١) الصبغ البديعي ص ٤٥٠ .

كانت بردة البوصيري قد اشتهرت ونالت حظا عظيما فلأنها أقل تكلفا من القصائد الاخرى ، ولأنها ابتعدت عن نهج البديعيات التي جاءت مجاراة لها وان لم تلحقها في الشاعرية وتصل الى غايتها في التاثير .

وعناصر القصيدة لاتخرج عما رسمته بردة البوصيري كثيرا وسارت عليه معظم قصائد مديح النبي صلى الله عليه وسلم ، وتتضح تلك العناصر في :

١ ــ النسيب .
٢ ــ الحديث عن الاحباء .
٣ ــ الكلام على باب السلام .
٤ ــ مدح النبي عليه السلام .
٥ ــ الكلام على معجزاته صلى الله عليه وسلم .
٦ ــ وصف النبي والحديث عن اخلاقه .
٧ ــ المناجاة .

يبدا القسم الاول بالاشارة الى ذي سلم والحديث عن حب الشاعرة الذي جعلها « في زمرة العشاق كالعلم » ، وتشرح حالها ثم تخاطب سعدا قائلة : « ان ابصرت عيناك كاظمة وجئت سلعا فسل عن اهلها » لأن هناك أقمارا طالعة ، وهم أحبة وان حال البعد بينهم واورث الالم . لقد « علوا كمالا » و« ازدادوا دلالا » ، ولكنها أحسنت الظن بهم وان حاولوا تلفها . وتتحدث عما قيل لها من سلوهم ، وهي لن تسلوهم أو تنساهم بل ترجو عطفهم واشفاقهم عليها ، فكل شيء يهون ، السهاد والشوق والجوى . وانى لها ان تسلوهم و « نار الحب موقودة وسط الحشا ، وعيون الدمع كالديم » ولها جفون لم تكتحل بغير السهد ، ولها « رسوم بغير السقم لم تسم » . وهي مهابة تهابها الأسد غير ان الأحبة اقوى واشد ، وانهم « ازروا بشمس الضحى والبدر حين بدوا واومض البرق من تلقاء مبتسم » . وتخاطب نفسها قائلة : جدّي فان وصلوا فذلك هو القصد والا فموتي ميتة فيها اباء واحتشام وان كان العشق قد أخذ منها مأخذا عظيما ، وقد كتمت حالها ولكن شجنها يأبى ذلك كل الاباء ويفضحها الدمع والسقام . وتتحدث عن الذين قالوا لها « ارعوي » ، ولكن قلبها لا يطاوعها ، وهي لن تفصم العهد ولو علم العاذل ما بها وعرف مقدار لوعتها لتركها وهو معذور لانه لا يرى النور في الظلام ، ولعله يرى ذلك في يوم من الايام ويرى النصح في كلامها ويكف عن لومها . وهي لذلك تتركه وتنزه بيانها عن ذمه ، ثم تلتفت اليه قائلة : « هل اعماك الجهل أو ان في طرفك عمى أو فقدت رشدك أو صابك لم ؟ » . لقد أتعبت نفسك في لومي فمعذرة مني اليك وان «سمعي عنك في صمم» اعذل وعنف ما استطعت فلن تراني الا كما شاء الهوى حافظة الذمم ، ولعلك ترى حسنهم فتكف عن اللوم وتتحدث عنهم مازجا ملامك بالذكرى فهي تعلة « لعليل الشوق من الم » .

وتتخلص في القسم الثاني الى الحديث عن الذين ليمت في حبهم ، ولماذا هذا العذل وهم عرب استوطنوا السر منها فهو منزلهم ولن تبوح به يوما لغيرهم من الناس . انهم أحبة ما لقلبها غيرهم من ارب ، وان حبهم لم يزل ينمو ويزداد منذ القدم ، وقد لزمت صدق ولائهم ؛ لانهم حلوا بقلبها وحلى جود منتهم جيدها . وهم آية في الجمال ، ولن تبلغ الشمس في الآفاق مشرقة لألاء حسنهم ، ثم تقسم اغلظ الايمان قائلة : « لا مكنتني المعالي ان لم اكن لهم خادمة » لانهم بفضلهم غمروني بما عجزت به عن شكرهم ، والبسوني من ضيائهم « نورا جلا ظلمي » و « البسوني ثياب الوصل » . وتستمر في كلامها باثة وجدها ، وشارحة شوقها ومظهرة لوعتها وتتساءل : هل يجتمع شملها بهم ؟ وتجيب « نعم ، نعم » لقد حدثتني نفسي بذلك وهي غير كاذبة فيما تقول .

وتعود في القسم الثالث قائلة : ان أسعفت الايام يا سعد واجتمعت الاماني وجئت الحي ، عرج على قاعة الوعساء وانعطف على العقيق فالجرعاء من اضم ، واقصد مصلى به باب السلام وقف مقبلا موطيء القدم ، لان لي قلبا بذاك المحل رهينا وهو يعاني من الوجد الشيء الكثير . وتطلب منه ان يأتي الكريم ويقبل غير خائف من الواشين ليرى الحسن والاحسان ، وترجوه ان لا يصده عن ذلك نصح اللاحين وما صاغوا من كلم .

وتتخلص في القسم الرابع الى مدح النبي ــ صلى عليه وسلم ــ فهو ابن الذبيح ، وهو أبو الزهراء ، وجد الحسن والحسين ، وهو المرتضى الذي اختاره الله ــ سبحانه وتعالى ــ « قبل اللوح والقلم » وخير النبيين ، واسناهم نسبا ، واذكاهم حسبا ، واعلاهم قربا من الله . وقد « عزت جلالته » و « جلت مكانته » و « عمت هدايته » الناس جميعا ونزلت في مدحه محكم الآيات . وتتحدث عن الوحي والاسراء فقد خصه الله بالنبوة واصطفاه على سائر الأنبياء في الأزل . وفي كلامها اشارة الى قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « كنت

نبيا وآدم بين الماء والطين » ولذلك فهو ذو الجاه الشفيع ، وذو المجد حيث يسير تحت لوائه أهل المجد يوم الحشر العظيم .

وتتحدث في القسم الخامس عن معجزاته ، وأولها القرآن الكريم الذي يتلى فيجد الناس فيه حلاوة ولايبلى ولا يبدل . ومن معجزاته ـ عليه السلام ـ لمس راحته التي تعقب راحة ، ومحوه المحن من ريقه الطاهر ، ومنها اطاعة النيرين له وتفجر الماء من اصبعيه .

وتنتقل في القسم السادس الى صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو « فريد حسن » و « بدر الكمال » ، وهو السراج الهادي الذي اشتغل بالحق واكتمل بالخلق واعتصم بالبر والتزم به . وهو « للبذل مغتنم » و « بالبشر متسم » ، وهو ممجد في القرآن الكريم . وكان جماله عنوان سيرته ، ولو غدا البحر حبرا والشجر ورقا ماحصرت أوصافه ولولا أن يكون في الوصف خروج لقيل ان ذكره « يحيي بالي الرمم » . وتتكلم على أوصافه الأخرى ، وتصفه بالكرم الذي يزري بكرم الآخرين ، فالغيث يهمي آونة ولكن غيث نداه ـ عليه السلام ـ لا يزال يهمي وسيظل كذلك الى يوم الدين . انه كريم يعطي السائلين ، وهو الحبيب « غوث الورى » و « كعبة الآمال » وكل معنى بديع دون رتبته . وتنتقل الى الكلام على تجريدها الحج للرسول ـ عليه السلام ـ وان قدمها لا تزال تسعى له بالصفا ، وقد دعاها بحر الوفاء بالوفاء الى نيل الوفاء ، وبلغت ما تروم منهم ، وهو القرب والحب والشوق . ثم تقول « صحح عزيمة صدق في محبته » و « نل مرادك وابلغ ما تريد » و « افرده بالمدح » مستثنيا الذين حازوا علا الفضل « من فازوا بسبقهم » فهم الباذلون النفس بذل المال ، والحافظون الجار ، وهم « سود الوقائع » و « وحمر البيض » في الحرب و « خضر المرابع » في السلم و « بيض الفعل والشيم » وهم في غبار المعركة كالبدور في « حندس الظلم » وقد هزموا الجمع وما فلت عزائمهم ، وهم النجوم وقد فازوا بالسبق يتقدمهم خليفة رسول الله ذو القدم ، ولاعيب فيهم سوى انهم لا يضام لهم ولايبخلون بشيء في العدم ، وقد سادوا المعالي بخير الخلق في الآزل ، وحازوا الأماني بأوفى الناس للذمم .

وتنتقل في القسم السابع الى المناجاة وتعلقها بطه الحبيب الذي تلوذ به ان خافت ذنبها ، وكيف لن ينجيها « من النقم » وهو الذي يبلغها فوق الذي تروم حينما تطمح الى « شيء من الكرم » .

وما هبت الريح الا رأت برق وفاء لهافيه وبل عطاء من ديمة النعم .

وتختم قصيدتها مخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقولها : « ياأكرم الرسل سؤلي فيك غير خف ، وأنت اكرم مدعو الى الكرم » وحسبي بحبك ان المرء يحشر مع احبابه ، وذلك فوز عظيم وهناء « غير منحسم » .

ان القصيدة تجري مجرى البديعيات الأخرى من حيث عناصرها ، وهي عظيمة بمعانيها وغزيرة بأوصافها ، غير ان الشاعرية فيها ضعيفة ، والتكلف باد في كثير من أبياتها وذلك بسبب التزام الشاعرة بفنون البديع التي أصبحت قيدا التزم به البديعيون . ويبدو في قوافي القصيدة القلق والتكرار ، وما ذلك الا لان الشاعرة تريد ان تصل الى هدفها وهو الاستشهاد على الفن البديعي ، وهذا من الصنعة التي تخرج الشعر عن سبيله وتحيله نظما فيه من التكلف الشيء الكثير . ولكن قداسة الموضوع ونبل الهدف وشرف الغاية تشفع لعائشة الباعونية التي كانت صورة صادقة للمؤمنات في عهدها ، ومثالا للحياة الأدبية في القرن العاشر للهجرة . وقد وصفها ابن العماد الحنبلي بقوله : « الشيخة الصالحة الأديبة العالمة العاملة أم عبد الوهاب الدمشقية ، أحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فظلا وأدبا وعلما وشعرا وديانة وصيانة ، تنسكت على يد السيد الجليل اسماعيل الخوارزمي ثم على خليفة المحيوي يحيى الأرموي . ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظا وافرا ، واجيزت بالافتاء والتدريس »(٣٢) .

وقصيدة عائشة الباعونية نفحات من التصوف وليس ما فيها من أوصاف حسية وحديث عن الحب واللوعة والشوق مما يعرفه الشعراء الحسيون ، وانما هو الشوق الى الله والهيام بحب نبيه المصطفى عليه السلام . وهي في ذلك تنحو منحى الشعراء المتصوفين كابن الفارض والبوصيري وغيرهما من اعلام العشق الالهي . تقول من كلام لها : « وكان مما أنعم الله به علي انني بحمده لم أزل اتقلب في اطوار الايجاد في رفاهية لطائف البر الجواد ، الى أن خرجت الى هذا العالم المشحون بمظاهر تجلياته ، الطافح بعجائب قدرته وبدائع ارادته ، المشوب موارده بالاقدار والأكدار ، الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار ، دار ممر لابقاء لها الى دار القرار . فرباني اللطف

(٣٢) شذرات الذهب ج٨ ص١١١ .

الرباني في مشهد النعمة والسلامة ، وغذّاني بلبان مداد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة وفي بلوغ درجة التمييز اهلني الحق لقراءة كتابه العزيز ، ومن علي بحفظه على التمام ولي من العمر حينئذ ثمانية أعوام . ثم لم أزل في كنف ملاطفات اللطيف حتى بلغت درجة التكليف »(٣٣) . وهذا كلام صوفية تتوق الى خالق الكون لا الى محبوب هجرها أو حبيب خانها ، وقصيدتها « الفتح المبين في مدح الأمين » تعبر عن هذا الوجد وتصور النزعة الصوفية أروع تصوير .

وليس الكلام هنا على النزعة الصوفية عند عائشة الباعونية وانما الحديث عن قصيدتها وما فيها من فنون بلاغية جعلتها من أشهر البديعيات ، وعن شرحها الذي يعد من جملة كتب البديع . والقصيدة كما ذكرتها في شرحها هي :

- ٣ -

١ ـ في حُسْنِ مَطْلَعِ اقماري بذي سَلَمِ ... أصبحْتُ في زُمْرةِ العُشّاق كالعَلَمِ(٣٤)

٢ ـ اقولُ والدمع جارٍ جارحٌ مقلي ... والجارُ جار بعذلٍ فيه متهمِ(٣٥)

٣ ـ يا للهوى في الهوى رُوح سَمَحتُ بها ... ولم أجِدْ رَوْح بُشرى منهم بهمِ(٣٦)

٤ ـ وفي بكائي لحالٍ حالَ من عدمي ... لفّقْتُ صَبْراً فما اَجْدَى لمنع دمي(٣٧)

٥ ـ يا سَعْدُ إنْ ابصرت عيناك كاظمةً ... وجئت سَلْعاً فَسَلْ عن أهلها القدمِ(٣٨)

٦ ـ فثمّ اقمارتمّ طالعين على ... طويلعٍ ، حيّهم وانزلْ بحيّهمِ(٣٩)

٧ ـ أحبة لم يزالوا منتهى أملي ... وإنْ هُمُ بالتنائي اوْجَبوا المي(٤٠)

٨ ـ عَلَوا كمالاً ، جلَوا حسناً ، سَبَوا أمماً ... زادوا دلالاً ، فنى صبري فيا سقمي(٤١)

٩ ـ أحسنت ظني وإنْ هم حاولوا تَلَفي ... وثمّ سرّ وضنّي فيه من شيمي(٤٢)

١٠ ـ اليحمدي وابو تمّام كل شَجٍ ... عانَى الغرامَ الى قلبي لأجلهم(٤٣)

١١ ـ قيل اسْلُهم قلْتُ إن هبّتْ صَبا سحراً ... واشرق البدْرُ تماً سلخ شهرهم(٤٤)

---

(٣٣) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١٢ .

(٣٤) فيه براعة المطلع ، وهو أن تكون المعاني واضحة في استهلالها وان يكون المطلع يدل على معنى القصيدة ويناسب الغرض ، وهو حسن الابتداء .

(٣٥) فيه جناس مذيل (جار ـ جارح) وهو « ان يجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقتي الحركات غير انهما تختلفان بحرف واحد » (الشرح ص ٣١٢) وفيه جناس تام (الجار ـ جار) وهو « ان يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما » (الشرح ص ٣١٢) .

(٣٦) فيه جناس محرف (رُوح ـ رَوح) وهو « ما اتفق ركناه في تعداد الحروف وتركيبهما سواء من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات » (الشرح ص ٣١٣) .

(٣٧) فيه جناس ملفق (من عدمي ـ منع دمي) وهو « أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين » (الشرح ص ٣١٤) .

(٣٨) فيه جناس مركب (سلعا ـ سَل عن) وهو ان يكون احد الركنين مركبا من كلمتين والآخر كلمة مفردة .

(٣٩) فيه جناس مصحف (ثمّ ـ تمّ) وهو ان تكون الكلمتان متشابهتين في الخط مختلفتين في التنقيط .
وفيه جناس مطلق (طالعين ـ طويلع) وهو ما يوهم احد ركنيه أن اصلهما واحد وليس الامر كذلك .

(٤٠) فيه جناس مخالف (أملي ـ المي) وهو « أن يشتمل كل واحد من الركنين على حروف الآخر دون ترتيبهما » (الشرح ص ٣١٥) .

(٤١) فيه جناس لاحق (علوا ـ جلوا) وهو ما ابدل من احد ركنيه حرف من غير مخرجه . والعين في الشاهد من مخرج والجيم من مخرج غيره .

(٤٢) فيه جناس لفظي (ظني ـ ضني) وهو « ما تماثل ركناه وتجانسا خطا لكن خالف احدهما الآخر بابدال حرف فيه مناسبة لفظية » (خزانة الادب ص ٣٨) .

(٤٣) فيه جناس معنوي (اليحمدي ـ ابو تمام) ، قالت الشاعرة : « فان اليحمدي هو منشيء العروض اسمه الخليل ، وابو تمام الشاعر اسمه حبيب . وقد ظهر في هذا البيت جناسان مضمران ، وهما خليل وخليل ، وحبيب وحبيب » (شرح البديعية ص ٣١٧) . وهذا الجناس نوعان : تجنيس اضمار وتجنيس اشارة . (ينظر خزانة الادب ص ٤٠ وما بعدها) .

(٤٤) فيه مناقضة ، فقد علقت الشاعرة الشرط فيه على الممكن ←

١٢ ـ مالي رجوع عن الأشجان في وَلَهي ... بل عن سلوّي رجوعي صار من لزمي(٤٥)

١٣ ـ رجوتهم(٤٦) أن يعطفوا فضلاً وقد عطفوا ... لكن على تَلَفٍ من فَرْط عشقهم(٤٧)

١٤ ـ هان السهادُ غراماً فيه أقلقني ... شوقي وعنّ الكرى وَجْداً فلم أنم(٤٨)

١٥ ـ وعاذل رام سلْواني فقلت له ... بين المحال وجود الصيد في الأَجَم(٤٩)

١٦ ـ عذلتني وادّعيت النصح فيه فلا ... برحت تسعى بلا حدّ الى النعم(٥٠)

١٧ ـ كيف السلو ونار الحب موقدة ... وسْط الحشا وعيون الدمع كالديم(٥١)

١٨ ـ ولي جفون بغير السهد ما اكتحلتْ ... ولي رسومٌ بغير السقم لم تسم(٥٢)

١٩ ـ تهابني الأُسْدُ في آجامها وظبا ... تلك الظبا قد أذلتني لعزهم(٥٣)

٢٠ ـ أزْرَ وابشمس الضحى والبدر حين بَدَوا ... وأوْمَضَ البَرْقُ من تلقاء مبتسم(٥٤)

٢١ ـ يا نفسُ ماذا الونى جدّي فان يصلوا ... فالقَصْدُ ، أوْ لا فموتي موت محتشم(٥٥)

٢٢ ـ لذكرهم صار سَمْع العذل يطربني ... من اللواحي ويلحيني لشكرهم(٥٦)

٢٣ـ بلغت في العشق مرمى ليس يدركه ... إلاّ خليعٌ صَبا مثلي الى العدم(٥٧)

٢٤ـ كتمت حالي ويأبى كتمَه شَجني ... بحكمي الفاضحين : الدمعِ والسقمِ(٥٨)

والمستحيل ومراد المتكلم المستحيل ؛ لان المناقضة هي تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكان المتكلم ناقض نفسه في الظاهر اذ شرط وقوع امر بوقوع نقيضين (خزانة الادب ص ١١٤) .

(٤٥) فيه رجوع ، وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة . (الايضاح ص ٣٥٢ ، التلخيص ص ٣٥٩ ، شروح التلخيص ج ٤ ص ٣٢١) .

(٤٦) كذا في الاصل ، و (رجوت) اقرب الى الوزن .

(٤٧) فيه استدراك ، والاستدراك قسمان ، قسم يتقدم الاستدراك فيه تقريرا لما اخبر به المتكلم وتوكيدا له كقول بعضهم :

واخوان تخذتهم دروعا
فكانوها ولكن للاعادي

وقسم لا يتقدمه تقرير وتوكيد كقول زهير بن أبي سلمى :

اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله

وقالت الشاعرة : « والاستدراك في بيتي المتقدم على هذه النبذة من القسم الاول » (الشرح ص ٣١٩) .

(٤٨) فيه مطابقة (السهاد ـ الكرى) ، والمطابقة ان يجمع بين ضدين مختلفين .

(٤٩) فيه تمثيل أخرج مخرج المثل وهو قولها : « من المحال وجود الصيد في الاجم .

(٥٠) فيه ابهام ، وهو ان يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز احدهما عن الآخر . ولا يفهم من بيت الشاعرة ادعاء هو للعاذل أم دعاء عليه ؟ لانه يصلح للامرين .

(٥١) فيه استعارة في « نار الحب » .

(٥٢) فيه ارداف ، والارداف من الكناية وهو « ان يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه » (الشرح ص ٣٢٣) ومراد الشاعرة انها من العشق لا تنام وانها هزيلة اضناها السقم .

(٥٣) فيه افتنان (النسيب والحماسة) ، والافتنان هو « ان ياتي الشاعر بفنين متضادين من الشعر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء » (الشرح ص ٣٢٣) .

(٥٤) فيه مراعاة النظير وهو الجمع بين أمر وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة (خزانة الادب ص ١٣١) ، وقد جمعت الشاعرة بين الشمس والبدر وهما غير متضادين .

(٥٥) فيه عتاب المرء نفسه ، وقد عتبت الشاعرة على نفسها قائلة : « يا نفس ماذا الونى ...؟ » . قال الحموي عن هذا الفن : « لم أجد العتب مرتبا الا على من أدخله في البديع وعده من انواعه » (خزانة الادب ص ١٤٤) .

(٥٦) فيه مغايرة ، وهي ان يتلطف المرء بتوصله الى ما كان ذمه هو أو غيره . ومن المعروف ان اللواحي مذمومون فتلطفت الشاعرة في مدحهم وجعلتهم سببا لطربها واوجبت شكرهم .

(٥٧) فيه سلامة الاختراع . قالت الشاعرة : « وانني فيما أعلم لم أسبق الى هذا المعنى » (الشرح ص ٣٢٦) .

(٥٨) فيه توشيع (الدمع والسقم) وهو « ان ياتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم ياتي بعده بكلمتين مفردتين هما عين ذلك المثنى تكون الاخرى منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كانه تفسير لما ثناه » (الشرح ص ٣٢٦) .

٢٥ـ قالوا : ارعوي قلت : قلبي ما يطاوعني ... قالوا : اثنني ، قلت : عهدي غير منفصمِ(٥٩)

٢٦ـ قالوا سلوت فقلت الصبر في كلفي ... قالوا يئست فقلت البرء في سقمي(٦٠)

٢٧ـ يا عاذلي أنت معذورٌ فلست ترى ... إذا بدا الصبحُ ما غطّى غشى الظلمِ(٦١)

٢٨ـ أبرمت عذلاً ويخشى أن تجرّبه ... لي السلو وما السلوان من شيمي(٦٢)

٢٩ـ أجْرِ الأمور على اذلالها فعسى ... ترى بعينيك وجه النصح في كلمي(٦٣)

٣٠ـ عن ذم مثلك تبياني أنزهه ... إذْ أنت عنديَ معدود من النعم(٦٤)

٣١ـ الجهلُ أغواك أم في الطرف منك عمى ... أم غاب رشدُك أم ضَرْبٌ من اللمم(٦٥)

٣٢ـ أتعبت نفسك في عذلي ومعذرةً ... مني اليك فسمعي عنك في صمم(٦٦)

٣٣ـ اعذلْ وعنّف وقل ما اسطعت لا ترني ... إلاّ كما شاء وجدي حافظاً ذممي(٦٧)

٣٤ـ تسومني الصبْرَ عمن لي حلا بهم ... جميع ما مرّ من حالات عشقهم(٦٨)

٣٥ـ لُمْ يا عذول وشاهِد حسنهم فاذا ... شاهدته واستطعْتَ اللوم بعد لُمِ(٦٩)

٣٦ـ ابنْ انل عرّفن فرّع لنا نبأً ... من الملام وحشّيه بوصفهم(٧٠)

٣٧ـ وامزجْ ملامَك بالذكرى فانّ بها ... تعللاً لعليل الشوق من ألمِ(٧١)

٣٨ـ كررْ أعد اطرب ابسط ثنّ غنّ اجب ... قل سل جد ترنم برّ منّ دم(٧٢)

---

(٥٩) فيه مراجعة (قالوا ـ قلت) وهي ان يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة بينه وبين غيره باوجز عبارة . (الشرح ص ٣٢٧) .

(٦٠) فيه القول بالموجب ، وهو ضربان : الاول : ان يقع صفة في كلام مدع شيئا يعني به نفسه فتثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح له بثبوتها له ولا بنفيها عنه كقوله تعالى : « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين ، فاثبت الله تعالى صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت الاخراج بصفة العزة ولا لنفيها .

والثاني : حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه كقوله :

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا ... قال ثقلت كاهلي بايادي

وبيت الشاعرة من هذا النوع ، قالت : « وقد فتح الله علي بالمقصود من هذا القسم الثاني في بيتي المتقدم بشرطه المعتبر عند أهل البديع ، والله اعلم » (الشرح ص ٣٢٨) .

(٦١) فيه تهكم بلفظ الوعد مكان الوعيد .

(٦٢) فيه مواربة وهي ان يقول المتكلم ما ينكر عليه بسببه وتتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة اما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو بزيادة او بنقص . قالت الشاعرة : « فان المواربة فيه بالتصحيف والتحريف ... وموضع المواربة من بيتي في لفظة « ويخشى » فان المراد بالباطن التاء المثناة الفوقية وفتحها والسين المهملة فاتيت بالياء المثناة التحتية وضمها والشين المعجمة وتخلصت من المؤاخذة . والمعنى قبل المواربة انتقل البيت من صيغة الى اخرى » (الشرح ص ٣٢٩) .

(٦٣) فيه ضرب المثل ، وقد وقع ارساله في صدر البيت وهو « أجر الامور على اذلالها » .

(٦٤) فيه نزاهة ، وهي ان ينزه المتكلم كلامه من الفحش في الهجاء .

(٦٥) فيه تجاهل العارف ، وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال ما لا يعلم .

(٦٦) فيه الهزل يراد به الجد .

(٦٧) فيه بسط ، وهو بسط الكلام بشرط زيادة في الفائدة .

(٦٨) فيه تورية ، وهي « ان يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك » (خزانة الادب ص ٢٣٩) والتورية في (ما مر) اذ يحتمل المرارة بدليل « حلا بهم » والمضي أيضا .

(٦٩) فيه تصدير وهو رد العجز على الصدر (لم يا عذول ـ بعد لم) .

(٧٠) فيه ما لا يستحيل بالانعكاس ، والشطر الاول من البيت يقرأ معكوسا أيضا .

(٧١) فيه تالف اللفظ والمعنى ، وهو « ان تكون الفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى » (الشرح ص ٣٣٦) .

(٧٢) فيه تفويف ، وهو أن يأتي المتكلم بمعان شتى من المدح ←

٣٩ـ أعِدْ حديثَ أحبائي فهم عَرَبٌ ... قد أعرب الدمع فيهم كل منعجمِ(٧٣)

٤٠ـ واستوطنوا السرّ مني فهو منزلهم ... ولا أفوه(٧٤) به يوما لغيرهمِ(٧٥)

٤١ـ بدا الصدود ببعدي عن جوارهم ... فعاد وصل بقربي من محلهم(٧٦)

٤٢ـ أحبة ما لقلبي غيرهم أرَبٌ ... وحبهم لم يزل يربو من القدم(٧٧)

٤٣ـ لزمت صدْقَ ولاهُم والتزمت به ... فلست أسلوه إلاّ عن سلوّهم(٧٨)

٤٤ـ حلّوا بقلبي وحلّى جود منّتهم ... جيدي وشكر الأيادي مسمعي وفمي(٧٩)

٤٥ـ ما بهجةُ الشمس في الآفاق مشرقة ... يوما بأبهج من لألاء حسنهم(٨٠)

٤٦ـ لا مكّنتني المعالي من سيادتها ... إنْ لم أكن لهم من جملة الخدم(٨١)

٤٧ـ بفضلهم غمروني من فواضلهم ... بما عجزت به عن حق شكرهم(٨٢)

٤٨ـ والبسوني مد آنَسْتُ نارهم ... من طور حضرتهم نوراً جلا ظلمي(٨٣)

٤٩ـ والبسوني ثياب الوصل مُعْلَمةً ... بقربهم وأقروا في القرى علمي(٨٤)

٥٠ـ وخوّلوني ملكاً فيه فُزْتُ بهم ... فوز العفاة بوافي فيض فضلهم(٨٥)

أو الغزل أو غير ذلك من الاغراض عن كل فن في سجعة منفصلة عن اختها مع تساوي الجمل في الوزن . (الشرح ص ٣٣٧) . وهذا الفن ظاهر في كل لفظة من القافية البيت ..

(٧٣) فيه ادماج ، وهو « ان يدمج المتكلم غرضا له في جملة معنى من المعاني قد نحاه ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض في كلامه لتتميم معناه الذي قصده . (الشرح ص ٣٣٨) . وقد ادمجت الشاعرة شرح الحال في هواهم في التعريف بهم .

(٧٤) في الاصل : ولم أفوه . ويحتمل ان « لم » استفهام وان ذكرت الشاعرة في الشرح « لا أفوه » .

(٧٥) فيه استخدام ، وهو لفظ مشترك بين معنيين ويراد بذلك اللفظ احد المعنيين ثم يعاد عليه ضمير ليراد به المعنى الآخر ، او يعاد عليه ضميران ويراد باحدهما احد المعنيين وبالآخر المعنى الاخر . ولفظة « السر » في البيت محتملة القلب والكلام المستودع ، فلما قالت « فهو منزلهم » استخدمت احد معنيي اللفظ وهو دلالته بالقرينة على القلب . ولما قالت : « ولا افوه » استخدمت المعنى الآخر وهو دلالته بالقرينة على الكلام المستودع .

(٧٦) فيه مقابلة (بدا ـ عاد) ، (الصدود ـ وصل) ، (بعدي ـ قربي) ، (عن ـ من) ، (جوارهم ـ محلهم).

(٧٧) فيه تالف اللفظ والوزن ، وهو ان تكون الافعال والاسماء تامة ولم يضطر الشاعر في الوزن الى نقصها او زيادتها. (الشرح ص ٣٤٤) .

(٧٨) فيه تالف المعنى والوزن وهو « ان تاتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن الى قلبها عن وجهها » (خزانة الادب ص ٤٣٨) .

(٧٩) فيه ابداع ، وهو ان ياتي الشاعر في البيت الواحد من الشعر او القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديع ومتى لم يكن ذلك فليس بابداع . (الشرح ص ٣٤٦) . وقد جمعت الشاعرة بين الجناس المطلق (حلوا ـ حلى) و (الجود ـ الجيد) و (المسمع ـ الفم)، والتورية في (وحلى) وحسن البيان ، والسهولة ، والانسجام ، وتالف اللفظ والوزن ، وتالف الوزن والمعنى ، والمناسبة ، والبسط .

(٨٠) فيه تفريع وهو « ان يصدر الشاعر او المتكلم كلامه باسم منفي بـ « ما » خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفي باحسن اوصافه المناسبة للمقام ، اما في الحسن واما في القبح ، ثم يجعله اصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح او هجاء او فخر او نسيب او غير ذلك ، ثم يخبر عن ذلك الاسم بـ « افعل » التفضيل ثم يدخل « من » على المقصود بالمدح او الذم او غيرهما ويعلق المجرور بـ « افعل » التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بـ « من » وبين الاسم الداخل عليه « ما » النافية ، لان حرف النفي قد نفى الافضلية فتبقى المساواة » (خزانة الادب ص ٤١٤) .

(٨١) فيه القسم وجوابه وهو «ان يريد الشاعر الحلف على شيء فياتي في الحلف بما يكون مدحا او بما يكسوه فخرا ، او يكون هجاء لغيره او وعيدا او جاريا مجرى التغزل والترقق » (الشرح ص ٣٤٨) .

(٨٢) فيه حسن البيان ؛ وهو « الابانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس » (خزانة الادب ص ٤٥٦) .

(٨٣) فيه توشيح وهو ان يكون اول الكلام دالا عليه .

(٨٤) فيه مجاز (ثياب الوصل) ، والمجاز هو التعبير عن المعنى بغير لفظه الموضوع له .

(٨٥) فيه استطراد ، وهو الخروج من غرض الى آخر على شرط ان يرجع الى الكلام الاول .

٥١ــ لهـــم شمائل بالاحسان قـــد شملت وعلّمت كـــرم الأخـــلاق والشـــيم(٨٦)

٥٢ــ ولي عوائد منهـم بالجميـل لهـــا بمنّهـــم اتصـــال غـــير منسجـــم(٨٧)

٥٣ــ وفا الوفا راق(٨٨) عيش المستهام بهـم فلا جفـــا بعـــدما جادوا بوصلهم(٨٩)

٥٤ــ حلّوا بقلبي فيـــا قلبي تهـنّ بهـــم وافـــرحْ ولا تلتفتْ عنهـــم لغـــيرهم(٩٠)

٥٥ــ قـــد طال شـــوقي وقلبي منزل لهم الى الطلول التي تســـمو باسمهـــم(٩١)

٥٦ــ فليت شعـــريَ هـــل حالي بمنتظـم قبـــل الفـــوات وهـــل شملي بملتئم(٩٢)

٥٧ــ نَعَمْ نَعَمْ حدّثتني وهي صادقـــة ظنـــون ســـرّي حديثـــاً غير متّهـم(٩٣)

٥٨ــ عن جودهـم عن نداهـم عن فواضلهم عن منّهـــم عن وفاهـم نيـــل برهـم(٩٤)

٥٩ــ ســـادوا فجـــودُهم جمٌّ وبذلهـــم حَتْمٌ وموردُهـــم غُنْمٌ لكل ظمـي(٩٥)

٦٠ــ يا سَعْدُ إنْ ساعد الاسعاد واجتمعت لـــك الأمـــاني وجئتَ الحيَّ عـــن الـــم(٩٦)

٦١ــ عرّج على قاعـــة الوعْســـاء منعطفاً على العقيـــق ، على الجـــرعاء مـــن اضـــم(٩٧)

٦٢ــ واقصدْ مصلى بـــه باب السلام وقفْ لـــدى المقـــام وقبّـــل موطيء القـــدم(٩٨)

---

(٨٦) فيه التهذيب والتاديب ، وهو وصف يعم كل كلام منفع محرر .

(٨٧) فيه انسجام ، وهو ما خلا من التعقيد وكان كانسجام الماء في انحداره .

(٨٨) في الاصل : وقالوا فا .

(٨٩) فيه تشريع ، والتشريع ان يأتي الشاعر ببيته على وزنين أو من أوزان العروض وقافيتين فاذا أسقط من اجزاء البيت جزء أو جزآن صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول . (الشرح ص ٣٦٠ وخزانة الادب ص ١١٩). وقد أخرجت الشاعرة من البيت قافية أخرى من منهوك الرجز وهو (وفا الوفا فلا جفا) ، وصار باقي البيت من غير الجزئين الاولين (راق عيش المستهام بهم بعد ما جادوا بوصلهم) ، وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد .

(٩٠) فيه التفات ، وهو الانصراف من اسلوب الى آخر ، وبيت الشاعرة فيه انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة .

(٩١) فيه احتراس ، والاحتراس « هو ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك » (خزانة الادب ص ٤٥٨) . قالت الشاعرة : « وقولي في بيتي المتقدم وقلبي منزل لهم احتراس من توهم خلو القلب منهم اذا فهم شدة شوقي الى ديارهم فلما قلت : « وقلبي منزل لهم » أزلت التوهم وأعلمت ان ذلك الشوق شوق البصر الى رؤية معاهدهم . وأما البصيرة فهي معمورة بهم لا يحتجبون عنها طرفة عين » (الشرح ص ٣٦٥) .

(٩٢) فيه تالف اللفظ باللفظ (منتظم ــ ملتئم) ، وهو « أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عشرة معان فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف » (خزانة الادب ص ٤٣٨) .

(٩٣) فيه تكرار (نعم نعم) ، والتكرار اعادة اللفظ لتقرير المعنى .

(٩٤) فيه مناسبة ، وهي مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ ، والمعنوية هي ان يريد المتكلم معنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقول الشاعرة . والمناسبة اللفظية هي الاتيان بكلمات متزنات . ومن ذلك قوله عليه السلام : « اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه » فقال عليه السلام (لامة) ولم يقل (ملمة) وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة وغير التامة لانها في الزنة دون التقفية .

(٩٥) فيه حسن النسق ، وهو « ان يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستبهجا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا افرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه » (خزانة الادب ص ٤١٥) .

(٩٦) فيه ايجاز ، وتقدير كلام الشاعرة : « يا سعد ان ساعدت الاقدار بالاسعاد واجتمعت لك جميع الاماني وجئت ذلك الحي » فحذفت بعض هذه الالفاظ لدلالة الباقي عليها .

(٩٧) فيه تتميم ، وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه .
قالت الشاعرة : « والتتميم واضح في بيتي المتقدم في قولي « منعطفا » فان البيت صحيح المعنى بدون هذه اللفظة ولكن بمجيئها فيه تتميم معنوي فان البيت مشتمل على دلالة سعد على طريق القصد بالتصريح على قاعة الوعساء وفي مجيء الامر له بالانعطاف زيادة في الدلالة لاتخفى محاسنها وبها صح النوع في البيت » (الشرح ص ٣٧٢) .

(٩٨) فيه تجريد ، والتجريد « هو ان ينتزع من امر ذي صفة الى اخر مثله » (الايضاح ص ٣٦٣ والتلخيص ص ٣٦٨ وشروح التلخيص ج ٤ ص ٣٤٨) . وقد جردت الشاعرة من المصلى مقاما ، ومن المقام موطيء القدم .

٦٣ـ فلي فـؤاد بذاك الحـي مرتهـن ... سـلا السلو وعانى وجـده بهـم(٩٩)

٦٤ـ ناشدتـه اللـهَ والأنوار مشرقـة ... تعلو المعـالم من سكانهـا القـدم(١٠٠)

٦٥ـ ائتِ الكريم وهـذا طـور حضرتهـم ... اقبلْ ولا تَخَفِ الواشـين بالكلمِ(١٠١)

٦٦ـ وشاهـد الحسن والاحسـان جزؤهـم ... ولا تدع منـك جـزءً غير مقتسـم(١٠٢)

٦٧ـ ولا يصـدك عن بذل الوجـوه لهـم ... نصْحُ اللواحي ومـا صاغـوا بنطقهـم(١٠٣)

٦٨ـ هـم المفاليس ما ذاقـوا الفـرام ولا ... امّوا حمـى خير خلـق اللـه كلهـم(١٠٤)

٦٩ـ محمـدُ المصطفـى ابن الذبيـح ابـو الـ ... زَهْـراء جـدّ اميري فتيـة الكرمِ(١٠٥)

٧٠ـ الوافـر العظـم ابن الوافـر العظـم اب ... ـن الوافـر العظـم ابن الوافـر العظـم(١٠٦)

٧١ـ المرتضى المجتبى المخصوص احمـد مـن ... اختاره الله قبـل اللـوح والقـدم(١٠٧)

٧٢ـ خير النبيين والبرهـان متّضـحٌ ... عَقْـلاً ونقـلاً فلـم نرتب ولـم نهـم(١٠٨)

٧٣ـ اسناهـم نسـبا ، ازكاهـم حسـبا ... اعلاهـم قـربا ، مـن باريء النسـم(١٠٩)

٧٤ـ طه المنـادى بألقـاب العلى شـرفاً ... وغـيره بالأسـامي ضمـن كتبهـم(١١٠)

٧٥ـ عـزّت جلالتـه ، جلّـت مكانتـه ... عَمّتْ هدايتـه للخلـق بالنعـم(١١١)

٧٦ـ أعظمْ بـه من نبي مرْسَـلٍ نزلت ... في مَدْحـه محكمُ الآيـات من حكـم(١١٢)

---

(٩٩) فيه تمكين (بهم) ، والتمكين « ان يمهد الناثر لسجعه فقرة او الناظم لقافية بيته تمهيدا تاتي به القافيـة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها غير قلقة ولا نافرة » (خزانة الادب ص ٤٣٩) .

(١٠٠) فيه حذف ، والحذف هنا هو حذف حرف من حروف الهجاء أو جميع الحروف المعجمة او جميع الحـروف المهملة . وقد حذفت الشاعرة في هذا البيت الاحـرف التي تنقط من تحت .

(١٠١) فيه اقتباس ، وقـد اقتبست الشاعـرة « اقبل ولا تخف » من سورة القصص ، الآية ٣١ .

(١٠٢) فيه نوادر ، والنـوادر « ان ياتي الشاعر بمعنـى مستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله . وهذا مما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديـع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع فانهم قالـوا : لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله » (خزانة الادب ص ٢٢٣) .

(١٠٣) فيه كناية ، والكناية اثبات معنى من المعاني بغير لفظـه الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومي اليه ويجعله دليلا عليـه . وقد كنت الشاعرة عن اقرار اللواحي بزعمهم النصح بالصياغة .

(١٠٤) فيه مخلص ، اي حسن التخلص ، وهو الانتقال من المعنى الاول الى الثاني انتقالا فيه ارتباط وخروج حسن.

(١٠٥) فيه اطراد ، والاطراد هو الاتيان باسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة له واسم من امكن من آبيه وجده ليزداد الممدوح تعريفا . (الشرح ص ٣٨٢) ، وذلـك واضح في بيت الشاعرة .

(١٠٦) فيه تكرار ، وهذا البيت مرتبط بالسابق وقد جاءت به الشاعرة تقريرا له ، بما يجب من التسـوية بذكـر آبائه من النبيين .

(١٠٧) فيه تكميل ، والتكميل « ان ياتي المتكلم او الشاعـر بمعنى من مدح او غيره من فنون الكلم واغراضه ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل كمن اراد مدح انسان بشجاعة مثلا ثم رأى ان الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل او بالباس دون الحلم » (الشرح ص ٣٨٣) .

(١٠٨) فيه ترتيب ، والترتيب « ان يجنح الشاعر الى اوصاف شتى في موضوع واحد او في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخـل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد علمه في الذهن او في العيان » (خزانة الادب ص ٣٦٧) . والترتيب في البيت هو في ذكر العقل والنقل ولا ثالث لهما في الحجة .

(١٠٩) فيه تسميط ، والتسميط « ان يجعل الشاعـر كل بيت بسمطه اربعة اقسام ثلاثة منها على سجع واحـد بخلاف قافيـة البيت » (خزانة الادب ص ٤٣٤) . والتسميط في بيت الشاعـرة : « اسناهم نسبا » ـ « ازكاهم حسبا » ـ « اعلاهم قربا » .

(١١٠) فيه سهولة ، حيث لا تكلف ولا تعقيد ولا تعسف في السبك .

(١١١) فيه مماثلة ، وقد تماثلت الفاظ البيت في الزنة دون التقفية كما في قولها : « عزت جلالتـه » ـ « جلت مكانته » ـ « عمت هدايته » .

(١١٢) فيه اعتراض ، ولو سقطت كلمـة « مرسل » لبقي البيت على ترتيبه ولكن مجيئها فيه لافادة التوكيـد وتقرير المعنى .

٧٧ـ يُنْبي مفصّلُها عن عزّ مرتبةٍ ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترمِ(١١٣)

٧٨ـ تباركَ اللّهُ مَنْ أوحى اليه بما ... أوحى وخصّصه بالمنتهى العظمِ(١١٤)

٧٩ـ برتبة القاب ، بالأدنى ، بحظوته ، ... برؤية الله ، بالايناس بالكلمِ(١١٥)

٨٠ـ دنا ونال فلا ثانٍ يشاركه ... فيما حواه من التخصيص والكرمِ(١١٦)

٨١ـ أتى وكان نبياً عند خالقه ... قدماً وآدم طيناً بَعْدُ لم يقمِ(١١٧)

٨٢ـ ذو الجاه حيث يضم الخلق محشرهم ... ولا يرى غيره في الكشف للغممِ(١١٨)

٨٣ـ ذو المجد حيث أهيل المجد قاطبة ... تسير تحت لواه يوم حشرهمِ(١١٩)

٨٤ـ ذو المعجزات التي منها الكتاب فيا ... بشرى لمقتبس منه بكل جمِ(١٢٠)

٨٥ـ يُتلى ويحلو ولا يبلى وليس له ... مبدّلٌ وهو حبل الله فاعتصمِ(١٢١)

٨٦ـ قل للذي ينتهي عما يحاوله ... من حصر معجز طه الطاهر الشّيمِ(١٢٢)

٨٧ـ كم أعقبتْ راحةٌ باللمس راحَتُه ... وكم مَحَا مِحْنَةً ريقٌ له بفمِ(١٢٣)

٨٨ـ والنّيرانِ أطاعاه فتلك بَدَتْ ... بعد الأفول وهذا شُقّ في الظلمِ(١٢٤)

---

(١١٣) فيه ايداع ، وقد اودعت الشاعرة الشطرة الثانية من ميمية البوصيري تيمنا بابقاء آثاره . (الشرح ص ٣٩٠) .

(١١٤) فيه اشارة باللفظ القليل الى المعنى الكثير ، أو هو اللمحة الدالة .

(١١٥) فيه تفسير ، والتفسير « ان يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره أما في البيت الآخر أو في بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير في أوله والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه والجار والمجرور وبعد المبتدأ الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا » (خزانة الادب ص ٤٠٨) . وصحة التفسير في البيت تظهر في أن الترتيب في عجزه والمفسر في صدره وكل قسم مستقل بنفسه .

(١١٦) فيه توشيح ، والتوشيح ان يكون معنى أول الكلام دالا على آخره .

(١١٧) فيه عنوان ، والعنوان « أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي لقصد تكميله بالفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص مبالغة » (خزانة الادب ص ٣٧٣) . قالت الشاعرة « وعنوان بيتي المتقدم يشير الى اصطفائيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سائر الانبياء في الازل بدليل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » وفي رواية : « اني عبدالله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينة » . فاشتمل البيت على عنوان هذا الخبر الصادق » (الشرح ص ٣٩٥) .

(١١٨) فيه تسهيم ، والتسهيم « ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ » (الشرح ص ٣٩٦) . والسامع للشطر الاول من البيت يعرف تمامه .

(١١٩) فيه حصر الجزئي والحاقه بالكلي وهو ان يأتي المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر اقسام الانواع منه والاجناس . (الشرح ص ٣٩٧) ويظهر ذلك في حصرها المجد بالرسول (ص) وسير آهل المجد قاطبة تحت لوائه .

(١٢٠) فيه اكتفاء ، والاكتفاء « أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى » (خزانة الادب ص ١٢٦) .

(١٢١) فيه توليد ، وهو ان ينظر الشاعر الى معنى من معاني من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله في بيت من قصيدة فيورده ويولد بينهما معنى آخر . ومعنى بيت الشاعرة مولد من بيت البوصيري :

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الاكثار بالسام

(١٢٢) فيه تفصيل ، والتفصيل « أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان آو عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الملائمة » . (خزانة الادب ص ٢٢٢) . وقالت الشاعرة : « وعجزه تقدم لي في بيت من قصيدة نبوية » (الشرح ص ٤٠٣) .

(١٢٣) فيه مواردة ، والمواردة ان يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه او معناه . وقد قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالمقصود من هذا النوع في بيتي المتقدم وقصدت المواردة بشهادة الله تعالى اني لما نظمت هذا البيت تذكرت بعد فراغه بيت الشيخ العلامة البوصيري ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

كم أبرأت وصبا باللمس راحته ... واطلقت أربا من ريقه اللمم

فمر بيتي وقد تواردت أنا وهو على هذا المعنى » (الشرح ص ٤٠٤) .

(١٢٤) فيه تقسيم ، والتقسيم استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه ، وقد استوفت الشاعرة ذلك في بيتها بعد (النيران اطاعاه) : « فتلك بدت بعد الافول » و « هذا شق في الظلم » وبذلك استوفت المعنى .

٨٩ـ والماء من اصبعيه فاض فيض ندى ... كفيه مردود هذا معدم العدم(١٢٥)

٩٠ـ فريد حسن تسامى عن مماثله ... في الخَلْق والخُلُق والاحكام والحكم(١٢٦)

٩١ـ بدر الكمال كمال البدر مكتسب ... من نوره وضياء الشمس فاعتلم(١٢٧)

٩٢ـ أعظم به من نبيّ سيدٍ سَنَدٍ ... هادٍ سراج منير صفوة القدم(١٢٨)

٩٣ـ بالحق مشتغل في الخلق مكتمل ... بالبر معتصم بالبِرّ ملتزم(١٢٩)

٩٤ـ للبذل مغتنم ، بالبشر متسم ... يسمو بمبتسم كالبدر منتظم(١٣٠)

٩٥ـ ممجّد الذكر في الفرقان بالحكمِ ... محمد الأمر في التبيان من حكم(١٣١)

٩٦ـ جمالُ صورته عنوانُ سيرته ... هذا بديعٌ ، وهذي آيةُ الأممِ(١٣٢)

٩٧ـ ولو غدا البحرُ حِبْراً والفضا وَرَقاً ... في حَصْرِ أوصافه ضاقا ببعضهم(١٣٣)

٩٨ـ وذكرُه كاد لولا سُنّةٌ سبقت ... إذا تكرر يُحيي بالِيَ الرمم(١٣٤)

٩٩ـ علا عن المِثْل والتشبيه ممتنع ... في وصفه وقصور العقل كالعلم(١٣٥)

١٠٠ـ محمدٌ اسمه نعتٌ لجملة ما ... في الذكر من مَدْحِه في نون والقلمِ(١٣٦)

١٠١ـ علاه كالشمس لا يخفى على بَصَرٍ ... والوجه كالبدر يجلو حالك الظلم(١٣٧)

١٠٢ـ لو كان ثمّ مثيلٌ قلت طلعته ... كالبدر حاشى تعالى كامل العظمِ(١٣٨)

١٠٣ـ قالوا هو الغيثُ قلت الغيثُ آونةً ... يَهْمي وغيثُ نداه لا يزال همي(١٣٩)

١٠٤ـ يُعطي العفاةَ أمانيهم فلست ترى ... في حيّه غيرَ ممنوح ومغتنمِ(١٤٠)

---

(١٢٥) فيه جمع مع تقسيم ، فقد جمعت الشاعرة بين الماء وفيض كفيه ، ثم قسمت في بقية البيت .

(١٢٦) فيه جمع ، فقد جمعت بين « الخلق » و « الخلق » و « الاحكام » و « الحكم » في حكم واحد .

(١٢٧) فيه قلب (بدر الكمال ـ كمال البدر) .

(١٢٨) فيه تنسيق الصفات ، اذ ذكرت النبي (ص) واعقبت ذلك بتعديد صفاته « سيد ـ سند ـ هاد ـ سراج منير ـ صفوة القدم » .

(١٢٩) فيه تشطير ، وقد قسمت الشاعرة بيتها شطرين ثم صرعت كل شطر من الشطرين وجاءت بكل شطر من بيتها مخالفا لقافية الآخر . (مشتغل ـ مكتمل) ـ (معتصم ـ ملتزم) .

(١٣٠) فيه سجع (مغتنم ـ متسم ـ مبتسم ـ منتظم) ، وقد جاء روي الاسجاع مثل روي القافية ، وهذا من شروطه في الشعر . (الشرح ص ٤١١) .

(١٣١) فيه ترصيع (ممجد الذكر ـ محمد الامر) ـ (في الفرقان بالحكم ـ في التبيان من حكم) ، وهذا يشبه ترصيع العقد ، وذلك أن يكون في أحد جانبيه من الحبات مثل ما في الآخر .

(١٣٢) فيه لف ونشر (جمال صورته ـ هذا بديع) ـ (عنوان سيرته ـ آية الامم) .

(١٣٣) فيه اغراق في المعنى ، وهو فوق المبالغة ودون الغلو .

(١٣٤) فيه غلو ، ولذلك استعملت (كاد) .

(١٣٥) فيه مبالغة ، وقد قالت الشاعرة : « وبالجملة فكل مبالغة في هذا المقام ممكنة غير مستحيلة في معجزات الممدوح ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعظم قدره » . (الشرح ص ٤١٥) .

(١٣٦) فيه اتفاق . قالت الشاعرة : « الاتفاق في بيتي ببركة الممدوح ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظاهر ، فان اسمه الشريف محمد اسم علم لمن كثرت اخلاقه الحميدة فحمد مرة بعد مرة فهو محمد ، وقد مدح في (ن) بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » فطابق اسمه على مدحه . وظاهر الاتفاق الذي هو النوع في البيت » . (الشرح ص ٤١٥) .

(١٣٧) فيه جمع مع تفريق .

(١٣٨) فيه تشبيه (كالبدر) .

(١٣٩) فيه تفريق ، والتفريق « أن يعمد الى شيئين من نوع فيقع بينهما تباين في مدح أو غيره » . (الشرح ص ٤١٩) ، والتباين في البيت أن الرسول (ص) غيث والمطر غيث ولكن غيث ندى الرسول دائم ، وغيث المطر ينزل تارة ولا ينزل اخرى فهو منقطع ابدا .

(١٤٠) فيه صحة الاقسام . قالت الشاعرة : « وقد فتح الله علي بالمقصود في هذا البيت بصحة هذا النوع . فان الممدوح هو الذي امتلأ من العطاء فلم يبق له حاجة ، والمغتنم هو الذي اعطى ولم يبلغ مبلغ من امتلأ فهو يغتنم منائح الجود حتى يساويه ولا ثالث لهذين القسمين في حضرة المعطي الاشرف الذي هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه لا يكون فيها محروم ولا يائس » (الشرح ص ٤٢٠) .

١٠٥ـ في النـــور لاح عـلاه لا نظـير لـــه ... نـور القـرآن قـرانا مـن لَدُنْ حـكم(١٤١)

١٠٦ـ حاز الجمالَ فما في حُسْنِ متَّصِفٍ ... بشطـــره بعض مـا في ســـيد الأمـمِ(١٤٢)

١٠٧ـ وكلُّ معنى بديـع دُونَ رتبـــة مـن ... سَما على الخلْق عند الحـق في القـدمِ(١٤٣)

١٠٨ـ هـو الحبيب مـن الرحمن رحْمَتُـه ... للعالمين بايجـــاد مـن العَـــدَمِ(١٤٤)

١٠٩ـ غوث الورى كعبـــة الآمـــال ملتزمي ... في حبّـــه بالتفـــاني صـــار من لزمي(١٤٥)

١١٠ـ جرّدْتُ حجي له من كل مَفْسَدَةٍ ... ولم تـزلْ بالصَّفـا تَسْعَى لـه قدمي(١٤٦)

١١١ـ بحـــر الوفـــاء دعاني بالوفـــاء الى ... نيـــل الوفـــاء وروّاني مـن النعـــمِ(١٤٧)

١١٢ـ بلغتُ مـا أروم منهـــم فلـم أرمِ ... عمّـن جـــلا غممي بالعـــزم والهممِ(١٤٨)

١١٣ـ صَحِحْ عزيمـةَ صـدق في محبتـــه ... وَنَـلْ مـرادَك وابلـغ كل مـا تـرمِ(١٤٩)

١١٤ـ وافْرِدْه بالمدْح واسْتَثْنِ بمدحك مَنْ ... حازوا عُلا الفضل من فازوا بسَبْقِهِمِ(١٥٠)

١١٥ـ الباذلـو النفس بذْلَ المـال من يدهم ... والحافظو الجار حِفْظَ العَهْدِ والذممِ(١٥١)

١١٦ـ لا يسلبـون بفضـل اللـه ما وهبـوا ... ويسلبـوا(١٥٢) ضـــرر الاملاق والعـدمِ(١٥٢)

١١٧ـ سودُ الوقائع حُمْرُ البيض في حَرَبٍ ... خُضْـرُ المرابـع بيضُ الفِعْل والشيمِ(١٥٤)

١١٨ـ كأنّهـم في عجـاجِ النقـع حـين بدوا ... بُدورُ تـمّ بـدت في حنـــدس الظلـمِ(١٥٥)

١١٩ـ للجمـــع فلّوا ومـا فُلَّتْ عزائمهـم ... وهي المواضـي على استئصـــال كل عمِ(١٥٦)

---

(١٤١) فيه اشتراك (القرآن ـ قرانا) . والاشتراك « ان يأتي الناظم في بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا اصليا أو فرعيا فيسبق ذهن السامع الى المعنى الذي لم يرده الناظم فيأتي في آخر البيت بما يؤكـد ان المقصود غير ما توهمه » (خزانة الادب ص ٣٦٥) .

(١٤٢) فيه تلميح . قالت الشاعـرة : « التلميح في بيتي مشير الى معنى الاثر المشهور من ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوتي الحسن كله وأوتي يوسف ـ صلاة الله عليه ـ شطره والله أعلم » (الشرح ص ٤٢٣) .

(١٤٣) لم تضع الشاعرة له عنوانا في شرحها لانه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع عندها .

(١٤٤) فيه المذهب الكلامي ، وهو ان يورد الشاعر مع الحكم ردا لمنكر حجة صحيحة ، فالذي أوجد من العدم قادر على أن يمنح نبيه رحمة للعالمين .

(١٤٥) فيه التزام ، وهو لزوم ما لا يلزم (ملتزمي ـ لزمي) وقد التزمت الشاعرة في القافيـة حرفين هما الزاي والميم .

(١٤٦) فيه توجيه ، والتوجيه « ان يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح او غيره » (خزانة الادب ص ١٣٥) .

(١٤٧) فيه ترديد ، والترديد « ان يعلـق لفظـة في البيت بمعنى ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخـر » (الشرح ص ٤٢٧) ويتضح ذلك في لفظة (الوفاء) في البيت .

(١٤٨) فيه تجزئة ، وقد جزأت الشاعرة بيتها اجزاء عروضية وسجعتها . والبيت مكسور شطره الاول .

(١٤٩) لم تضع الشاعرة له عنوانا لانه لا يدخل في باب مستقل من أبواب البديع عندها .

(١٥٠) فيه ايضـاح . قالت الشاعـرة : « فاني لما قلت « واستثن بمدحك من حازوا علا الفضل » لم يعلم من هم المقصودون بالمدح فلما قلت « من فازوا بسبقهم » زال اللبس واتضح انهم الصحابة ـ رضي الله عنهم وعنا بمنه وكرمه » (الشرح ص ٤٢٩) .

(١٥١) فيه استتباع « أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من اغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن » (خزانـة الادب ص ٤١٧) . وقد قالت الشاعرة : (الباذلـو النفس) ثم قالت : (والحافظو الجار) .

(١٥٢) كذا في الاصـل .

(١٥٣) فيه سلب وايجاب وهو « ان يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة واثباته من جهة اخرى » او « ان يقصـد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها في اول كلامه عن جميع الناس ويثبتها لممدوحه بعد ذلك » (خزانة الادب ص ٣٦١) . وقد بنت الشاعرة بيتها على النفي في اوله والاثبات في تكملته .

(١٥٤) فيه تدبيج والتدبيج ان يذكر الناظم او الناثر الـوانا يقصد الكناية بها او التورية بذكرها من وصف او مدح او غيرهما . وقد كنت الشاعرة عن الشدة بـ « سـود الوقائع » وعن الحرب والشجاعة في القتال بـ « حمر البيض » وعن الرفاهية والكرم بـ « خضر المرابع » .

(١٥٥) فيه تشبيه شيء بشيئين (كأنهم بدور) ـ (في حندس الظلم) .

(١٥٦) فيه تنكيت . قالت الشاعرة : « خصصت الاستئصال

←

١٢٠ـ هُمُ النجوم فما أسنى مطالعَهم ... في أفقِ ملّتِه البيضا بهديهم(١٥٧)

١٢١ـ لا يمزج الشك منهم صفو معتقد ... ولا يشين التقى باللّم واللمم(١٥٨)

١٢٢ـ بالسبق فازوا بتخصيصٍ تقدّمَهُمْ ... فيه خليفتُه الصّدّيقُ ذو القدمِ(١٥٩)

١٢٣ـ لا عيبَ فيهم سوى أنْ لا يضام لهم ... وَفْدٌ ولا يبخلوا(١٦٠) بالرفد في العدم(١٦١)

١٢٤ـ سادوا المعالي بخير الخَلْق في أزَل ... حازوا الأماني بأوفى الناس للذمم(١٦٢)

١٢٥ـ طه الذي إنْ أخفْ ذنبي ولذت به ... أَمِنْتُ خوفي ونّجاني من النقمِ(١٦٣)

١٢٦ـ ولا طمحت الى شيءٍ من الكَرَمِ ... إلاّ وبلّغني فوق الذي أرم(١٦٤)

١٢٧ـ ما هَبَّت الريحُ إلاّ شِمْتُ بَرْقَ وفا ... لي فيه وبْلُ عَطا من ديمة النعمِ(١٦٥)

١٢٨ـ ياأكْرَمَ الرُسْلِ سؤْلي فيك غير خفٍ ... وأنت أكرَمُ مدعوٍّ الى الكرم(١٦٦)

١٢٩ـ حسبي بحبك أنّ المرء يحشر مع ... أحبابه فهنائي غير منحسم(١٦٧)

١٣٠ـ مدحت مجّدت والاخلاص ملتزمي ... فيه وحُسْنُ امتداحي فيك مختتمي(١٦٨)

بالذكر لمفهومه وهو محق دولة الكفر وحسم مواد أصله. ولو قلت غير هذه اللفظة لسد مسدها ، ولكن في الاستدراك نكتة ليست في غيره وهي ما ذكرته . وكذا في قولي « كل عم » فلو قلت « محتم » لسد ، ولكن كان يفوتني معنى الاطلاق . هذا مع اشتمال البيت المذكور مع تحرير النوع فيه على المناسبة البديعية بين الماضي والفلول وحسن الكناية عن صحة العزائم الى غير ذلك من الانواع والله أعلم » (الشرح ص ٤٣٥) .

(١٥٧) فيه مساواة بين اللفظ والمعنى .

(١٥٨) فيه نفي الشيء بايجابه ، وهو « أن يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته » (خزانة الادب ص ٢٣٣) .

(١٥٩) فيه جمع المؤتلف والمختلف ، وهو « أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويريد بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة ففضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية » (الشرح ص ٤٤١) . وقد رجحت أبا بكر الصديق (رض) لانه من أول السباقين الى الاسلام .

(١٦٠) كذا في الاصل و « يبخلوا » معطوف على « يضام » .

(١٦١) فيه مدح في معرض الذم .

(١٦٢) لم تضع الشاعرة له عنوانا ؛ لانه لا يدخل في باب مستقل من ابواب البديع عندها .

(١٦٣) فيه ازدواج ، وقد زاوجت الشاعرة في البيت بين معنيين في الشرط والجواب (أن أخف ...) ـ (أمنت خوفي) .

(١٦٤) فيه تصريع ، وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي (من الكرم) . (الذي أرم) .
والبيت جاء بهذه الصورة في بديعية الشاعرة .

(١٦٥) فيه فرائد ، والفرائد أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بحيث لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها » (خزانة الادب ص ٣٧٢) .
والقريدة في بيت الشاعرة (شمت) كما ذكرت في شرحها ص ٤٥٤ .

(١٦٦) فيه براعة المطلب ، وهو « أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح ، بل يشعر بما في النفس دون كشفه » (الشرح ص ٤٥٤) .
وقد ذكرت الشاعرة ان سؤلها في النبي العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ غير خف ، وان طلبها الذي اشارت اليه جاء تلويحا بالفاظ عذبة مقترنة بتعظيم الرسول الكريم . ثم ختمت بيتها بعد طلبها بالقول ان محمدا (ص) اكرم مدعو الى الكرم .

(١٦٧) فيه عقد ، وهو نظم المنثور . ومن شرائط العقد أن يؤخذ المنثور بجملة لفظة أو بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ، ومتى اخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من انواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا اخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه شيئا بطريق من الطرق على ان يعرف اصل الكلام المأخوذ (خزانة الادب ص ٤٥٩ ، والشرح ص ٤٥٦) . قالت الشاعرة : « وبيتي عقده ظاهر ، والمقصود فيه من العقد قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يحشر المرء مع من احب » . وفي رواية « المرء مع من احب » (الشرح ص ٤٦١) .

(١٦٨) وفيه حسن الختام ، وهو « ان يكون اخر الكلام الذي يقف عليه المترسل او الخطيب او الشاعر مستعذبا لتبقى لذته في الاسماع » . وقالت الشاعرة : « وبالجملة فمحاسن هذا النوع لا تدخل تحت دائرة الحصر . وفي هذا التلويح كفاية في الدلالة على صحة النوع في بيتي المتقدم وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين » (الشرح ٤٦٢ ، ٤٦٧) .

- ٤ -

هذه قصيدة عائشة الباعونية وهي تجري فيها مجرى شعراء البديعيات الذين اتخذوا من مدائحهم للنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيلة لاظهار فنون البلاغة . وقد كانت عائشة أقرب الى ابن حجة الحموي وان لم تسمّ الفن البديعي أو تورّي عنه كما فعل ، ولكنها اعتمدت عليه في الشرح كثيرا ونقلت عنه تعريفاته للفنون البلاغية كما استفادت من كتاب « حسن التوسل » للشهاب الحلبي وكتب ابن أبي الاصبع المصري في البلاغة كتحرير التحبير وبديع القرآن . وكانت ترجع الى كلام عبدالله بن المعتز صاحب كتاب « البديع » وقدامة بن جعفر مؤلف كتاب « نقد الشعر » والقزويني صاحب « التلخيص » و « الايضاح » . ويتضح أن اعتمادها على شعراء البديعيات في الشرح أكثر ، لاتصال عملها بهم وارتباطها بالفن الذي طرقوه .

لقد كانت بديعية الباعونية من القصائد التي أثرت في البلاغة لان الشاعرة لم تشر الى الفن البلاغي وبذلك احتاجت الى ايضاح وشرح ولولا ذلك لبقيت القصيدة تتلى أو تحفظ من غير فهم دقيق . وقد فعل مثل ذلك الشعراء الذين كنّوا عن الغرض وورّوا أو لم يفعلوا ، ومن هؤلاء ابن حجة الحموي الذي اتخذته الشاعرة أماما لها في فن البديع فقد التزم بتسمية الفن البديعي ولم تلتزم به الشاعرة ، يقول في براعة الاستهلال :

لي في ابتدا مدحكم يا عرب ذي سلمِ
براعة تستهل الدمع في العلمِ

فقوله « براعة تستهل » اشارة الى الفن البديعي . أما الباعونية فقالت :

في حسن مطلع أقماري بذي سلمِ
أصبحت في زمرة العشاق كالعلمِ

وفي قولها : « حسن مطلع » اشارة خفية الى براعة الاستهلال أو حسن المطلع ، ولكنها حينما جاءت الى الجناس المذيل والتام(١٦٩) لم تشر الى التسمية ، وانما قالت :

أقول والدمع جارٍ جارحٌ مقلي
والجارُ جار بعذل فيه متهم

وليس في هذا البيت تورية عن الجناس أو أنواعه ، غير أن العارف يعلم انها ذكرت الجناس المذيل في « جار ـ جارح » والتام في « الجار ـ جار » . وقد قال الحموي عن المذيل :

وذيّل الهم همل الدمع لي فجرى
كلاحق الغيث حيث الارض في ضرمِ

فقوله « وذيل » اشارة الى الجناس المذيل و « الهم ـ همل » شاهد له . وقوله « كلاحق » اشارة الى الجناس اللاحق و « الغيث ـ حيث » شاهد له . وقال عن الجناس التام :

يا سعد ما تمّ لي سعد يطرفني
بقربهم وقليل الحظ لم يلم

فقوله « تم » اشارة الى الجناس التام و « سعد ـ سعد » شاهد له .

وسبيل ابن حجة الحموي أقرب الى المدارك والاذهان لانّه أشار الى الفن البديعي ، أما عائشة الباعونية فقد جردت بديعيتها من التسمية وبذلك كانت بعيدة المنال لا تدرك الا بعد التأمل . وكان صفي الدين الحلي قد فعل ذلك ، والتزم عزالدين الموصلي بالتسمية فجاءت بديعيته ثقيلة على خلاف بديعية الحلي . وقد أشار الحموي الى ذلك بقوله وهو يذكر الموصلي : « التزم فيها بتسمية النوع البديعي وورّى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفي الدين الحلي ـ تغمده الله برحمته ـ لانه ما التزم في بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل »(١٧٠) . وتحررت الباعونية من هذا العبء الثقيل غير انها لم تصل الى ما وصل اليه الحلي في بديعيته لانه كان شاعرا كبيرا له القدرة على التعبير والاداء ، وكانت تنظم الشعر بدافع نبيل وحب لرسول الله عظيم ، وشتان بين ناظم وشاعر ، ولذلك جاءت بديعيتها تشكو الكثير ومن ذلك ابهام الانواع البديعية فشرحتها شرحا موجزا ينفع الشادي في الادب ولكنه لا يحقق طموح الاديب .

ومهما يكن من أمر فان لعائشة الباعونية أثرا في البلاغة في القرن التاسع وما بعده لانها كانت حلقة من حلقات علم البديع ، وهي حلقات لم تنقطع الا في القرن الرابع عشر للهجرة ، وكانت مَعْلَماً من معالم الدرس البلاغي في عصرها . ولو تهيأت لها الاسباب لأبدعت وأجادت ، ويكفي

(١٦٩) سبق شرح الجناس المذيل والجناس التام في هامش رقم (٣٥) من هذا البحث .

(١٧٠) خزانة الادب ص ٢ .

انها كانت صوتا للمرأة المسلمة المؤمنة ، وفخرا للامة التي انجبت الشهيرات في العلم والفقه والتصوف والادب ، وليس ذلك بقليل في عصر قيل عنه انه مظلم ، وزمان كسدت فيه سوق العلم والادب .

- ٥ -

تلك أهم ملامح تأثير المدائح النبوية في البلاغة العربية ، وقد تمثّل ذلك التأثير في البديعيات وهي كثيرة تدل على اهتمام عظيم بفنون البديع في الفترة المتأخرة . واذا كان فيها اسراف في الصنعة والتفنن في ايجاد انواع بديعية دعا الدارسين الى انتقادها وتصويرها بغير حقيقتها ـ فان الجهد المبذول فيها كبير يدل على ما كان يتمتع به اولئك الشعراء من صبر على النظم واطلاع على اللغة وذكاء في معالجة الفنون والتورية عنها . وهي تمثل اتجاها جديدا في تأريخ البلاغة يختلف كل الاختلاف عما عرف من شروح التلخيص التي سيطرت على الدرس البلاغي بعد القرن السابع للهجرة ، وتصور حياة الادب في تلك الفترة التي جنح فيها الشعر الى العناية بصور البديع . وكانت تطبيقا لذلك الادب وما حفل به من فنون بديعية لجّ بها الشعراء المولّدون وأحصى منها ابن المعتز ثمانية عشر وترك الباب مفتوحا لمن أراد التوسع فيها ، وكأن البديعيات كانت استجابة لتلك الدعوة . وتمثل البديعيات ـ ايضا ـ العودة الى البديع كما عرفه الجاحظ وابن المعتز وقدامة بن جعفر وغيرهم من البلاغيين الذين سبقوا تقسيم البلاغة وحصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية .

يضاف الى ذلك ان العصر الذي عاش فيه اصحاب البديعيات كان يُعنى بنظم علوم اللغة تقريبا لها وضبطا لقواعدها . وقد رأى البديعيون أن البلاغة ينبغي أن تقيد ليسهل حفظها ويعم نفعها ، وقاموا بذلك خير قيام مع ما في النظم من تكلف واسفاف في بعض الاحيان .

ولم تكن البديعيات في مستوى واحد بل اختلفت بتعدد اصحابها وتباين ثقافاتهم ومواهبهم ، ولعل بديعية صفي الدين الحلي أجودها شعرا واصدقها عاطفة لانه لم يلتزم التورية عن الفن البديعي كما التزمه الموصلي والحموي .

والبديعيات بعد ذلك ثلاثة ألوان :

الاول : ليس فيه تسمية للنوع البديعي ويمثله الحلي والباعونية .

الثاني : فيه تسمية النوع ويمثله الموصلي والحموي .

وهذان اللونان مع اختلاف في الاسلوب يمثلان البلاغة بفنونها الثلاثة ؛ لان البديع عند أصحابهما لا ينحصر فيما عرفه أصحاب الشروح والتلخيصات وانما يشمل المعاني والبيان والبديع.

الثالث : حصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية ، ويمثله ابن جابر الاندلسي الذي اتخذ من مذهب السكاكي والقزويني سبيلا .

وقد ظهر أثر البديعيات في البلاغة واضحا في :

١ ـ أنها سلكت فنون البلاغة في أبيات شعرية يسهل حفظها وانتشارها ، لان الشعر أيسر في الحفظ واكثر دورانا ، ولا سيما اذا كان في مدح النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم . وقد كان العصر الذي ظهر فيه اصحاب البديعيات عصر زهد وتصوف وتوجه الى الله لينقذهم مما هم فيه من ظلم واستبداد .

٢ ـ انها لم تفرق بين علوم البلاغة وانما سلكتها في علم واحد هو البديع بمعناه الواسع ، أي انها دعوة للعودة الى ما كانت عليه البلاغة في عهد كبار البلاغيين كالجاحظ وقدامة وعبدالقاهر الجرجاني وابن رشيق وابن سنان وضياء الدين بن الاثير وغيرهم ممن جعل البلاغة علما واحدا يعبر بها عن « فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا أو تكلموا واخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا ان يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم »(١٧١) .

٣ ـ أنها دفعت المؤلفين او الشعراء انفسهم الى شرح البديعيات كما فعل ابن حجة الحموي وعائشة الباعونية وابن معصوم المدني وغيرهم . وقد كانت شروحهم من أهم كتب البلاغة العربية في تلك الفترة ، لانها جمعت كل ما عرفته البلاغة من فنون قبل القرن

(١٧١) دلائل الاعجاز ص ٣٥ .

السابع للهجـــرة وذكرت كثـيرا من آراء المتقدمين وتعريفاتهم ، ولانها اعطت صورة دقيقة للحياة الادبية في تلك الفترة وحددت الذوق الفني الذي كان الادباء يلتزمون به .

٤ ــ أنها دفعت الشراح الى التجديد في الشواهد البلاغية والاستعانة بالشعراء المعاصرين لهم، وتكاد « خزانة الادب » للحموي تمثل عصره أدق تمثيل ، لان المؤلف ذكر كثيرا من شعر معاصريه وبذلك حفظ لنا ثروة ادبية ترسم ملامح ذلك العصر . ولم يكن شراح التلخيص كذلك ؛ لانهم لم يخرجوا كثيرا على شواهد التلخيص للقزويني وشواهد البلاغة القديمة، وبذلك كان أصحاب البديعيات وشراحهـا اكثر تمثيلا لعصرهم من شراح التلخيص ، ولعل فيما قدموه نفعا ، ولعل فيما قدمـه هذا البحث فائدة لمن تعنيه الثقافة العربية الاسلامية .

المصادر والمراجع

١ ــ الاعلام ــ خيرالدين الزركلي ، الطبعة الثانية . القاهرة.

٢ ــ أعلام النساء ــ عمر رضا كحالة . الطبعة الثانيـــة . دمشق ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

٣ ــ انوار الربيع في انواع البديع ــ ابن معصوم علي صدر الدين المدني . تحقيـق شـاكر هادي شكر . النجف ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .

٤ ــ الايضاح ــ الخطيب القزويني . تحقيق لجنة باشـراف محمد محيى الدين عبدالحميد . القاهرة .

٥ ــ بديعيات الآثاري ــ زين الدين شعبان بن محمد القرشي الآثاري . تحقيـــق هلال ناجي . بغـــداد ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م .

٦ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ــ جـلال الدين السيوطي . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م .

٧ ــ البلاغة تطور وتاريخ ــ الدكتور شوقي ضيف . القاهرة ١٩٦٥م .

٨ ــ البيان والتبيين ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيـــق عبدالسلام هارون . القاهـــرة ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م .

٩ ــ التلخيص ــ الخطيب القزويني . تحقيق عبدالرحمـــن البرقوقي . الطبعـــة الثانيـــة ــ القاهرة ١٣٥٠هـ ــ ١٩٣٢م .

١٠ــ خزانة الادب وغاية الارب . ابن حجة الحموي . الطبعة الاولى ــ القاهرة ١٣٠٤هـ .

١١ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ (الطبعة العربيـــة) مادة (بديع) .

١٢ــ دلائل الاعجاز ــ عبدالقاهر الجرجاني . تحقيق محمـد رشيد رضا . القاهرة ١٣٧٢هـ .

١٣ــ ديـــوان صفي الدين الحلي ــ دار صـــادر ــ بيروت ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م .

١٤ــ السيرة النبوية ــ أبو محمد عبدالملك بن هشام . تحقيق مصطفى السقا وجماعته . الطبعة الثانية ــ القاهـرة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٥م .

١٥ــ شذرات الذهب ــ ابن العماد الحنبلي . القاهرة .

١٦ــ شرح بديعية الباعونية ــ عائشة الباعونية (مطبوعة على حاشية خزانة الادب ــ لابن حجة الحموي) .

١٧ــ شروح التلخيص ــ القاهرة ١٩٣٧م .

١٨ــ شعر صفي الدين الحلي ــ الدكتور جواد احمد علوش. بغداد ١٣٧٩هـ ــ ١٩٥٩م .

١٩ــ الصبغ البديعي في اللغة العربية ــ الدكتور احمد ابراهيم موسى . القاهرة ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٩م .

٢٠ــ طراز الحلة وشفاء الغلة ــ أبو جعفر الرعيني . مخطوطة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد . رقم (١٢١٤٢) .

٢١ــ فنون بلاغية ــ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م .

٢٢ــ فوات الوفيات ــ محمد بن شاكر بن احمـد الكتبي . تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميـــد . القاهـــرة ١٩٥١م .

٢٣ــ القزويني وشروح التلخيص ــ الدكتور احمد مطلوب . بغداد ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م .

٢٤ــ كتاب الصناعتين ــ أبو هلال العسكري . تحقيـق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم . القاهـرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .

٢٥ــ المدائح النبوية في الادب العربي ــ الدكتور زكي مبارك . القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦ــ مصطلحات بلاغية الدكتور احمـــد مطلوب . بغـــداد ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م .

٢٧ــ معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة . دمشـق ١٣٧٧هـ ــ ١٩٥٨م .

٢٨ــ مناهج بلاغية ــ الدكتور احمد مطلوب . بيروت ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م .

٢٩ــ نفحات الازهار ــ عبدالغني النابلسي . دمشق ١٢٩٩هـ.